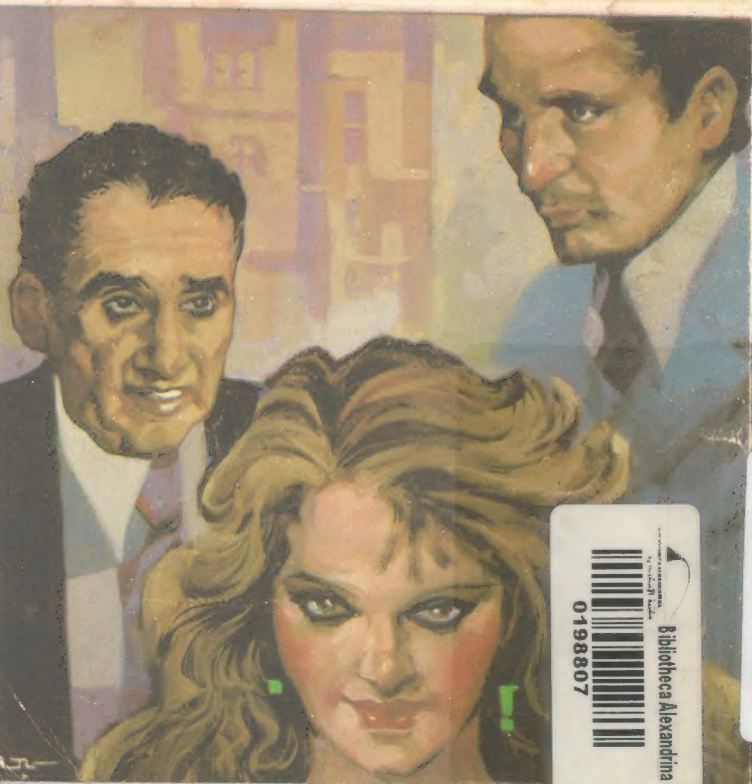


روايات (الهلال)

مصطفى نصر

الهماميل



0198807



Bibliotheca Alexandrina

روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

نصدر عن مؤسسة
دار الهلال

العدد ٤٧٠ فبراير ١٩٨٨
جماد الثاني ١٤٠٨ هـ
No. 470 FEB. 1988

● الاشتراكات ●

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية
مصر العربية تسعة جنيهات بالبريد العادى وفى بلاد
اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان ثلاثة عشر
دولارا او مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم
عشرون دولار بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال
فى ج . م . ع نقدا او بحوالاة بريدية غير حكومية وفى
الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .
وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة
اعلاه عند الطلب .

اسعار البيع فى البلاد العربية للاعداد العادية من
سلسلة روايات الهلال فئة ٧٥ قرشا للقارئ فى مصر

سوريا ١٨٠٠ ق . س - لبنان ٣٥٠ ليرة - الاردن ٥٠٠
فلس - الكويت ٤٠٠ فلس - العراق ١٦٠٠ فلس -
السعودية ٧ ريالات - السودان ٢٥٠ ق . سودانيا -
البحرين ١٢٠٠ فلس - الدوحة ٨ ريالات - دى ٨ دراهم
- ابو ظبى ٨ دراهم - مسقط ٧٥٠ بييسه - تونس ١٦٠٠
مليم - المغرب ١٥٠٠ فرنك - غزة والضفة ٧٥ سنتا -
داكار ١٠٠٠ فرنك - اليمن الشمالية ١٣ ريالا - عدن ١٤٤
سنتا - الصومال ١٣٠ بنى - لاجوس ١٢٠ بنى - ايطاليا
٣٠٠٠ ليرة - لندن ١٥٠ سنتا - اثينا ٢٠٠ دراهمه -
كندا ٥٠٠ سنت - البرازيل ٦٠٠ سنت - استراليا ٦٠٠
سنت .

للحصول على نسخ من روايات الهلال
اتصل بالتلكس : 92703 HILAL. U. N.

الادارة . دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب - القاهرة
تليفون . ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل
سكرتير التحرير
محمود فاسم



روايات الله

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

الافهاميل

تاسع

بمقام

مصطفى نصر



دار الهلال

أبو الوفا حسنين

ادار أبو الوفا المحرك انطلقت السيارة ، طارت فوق الأرض .
ستترك « ملك البيت » ..
لقد قال لأخيها محمود ، ان أختك تخوننى ، غضب محمود من
قوله ، وذهب الى البيت ليأخذها عنده .
سيرتاح أبو الوفا من هذا العناء .. كلما استيقظ من نومه ، بحث
عنها ، وضع يده فوق جسدها .
لديه احساس بأنه سيصحو يوما من نومه ، لن يجدها ، سيخطفها
منه شاب صغير ويهرب بها .
اقتربت السيارة من « الابراهيمية » ، يتعنى ان يذهب الى بيت
عبد العزيز جد ولده اسماعيل .
وقف بالسيارة فى « طريق الحرية » ، بجوار احدى الشجيرات .
لقد أنسته « ملك » ما حدث ، رغم أنه كان يظن أنه لن ينسأه أبدا .
أنسته « ملك » كل شيء .
لقد أخطأ حين تزوجها ، تعلل لأقاربه ، ولجد اسماعيل وجدته
« دولت » بأنه سيتزوج « ملك » لتخدمه وتخدم ابنه .
أحس برغبة فى البكاء . الطريق مظلم . ولو بكى لن يرى دموعه
أحد .
آه .. احقا نسى ما حدث ؟ لن يذهب الى بيت عبد العزيز ،
لا يريد أن يرى أحدا هناك .

..
كان اسماعيل يعيش فى بيت جده عبد العزيز ، بعد موت أمه ،
تعلق به عبد العزيز ، وجدته دولت . اذا ما جاء الى بيت أبو الوفا
يوما أو يومين ، تأتى جدته دولت ، تقبله ، ولا تخرج من
البيت الا به .
عبد العزيز - جده - لا يستطيع أن يبقى فى « فيلته » بدونه .
الليلة التى ينام فيها لدى أبو الوفا ، يقلق الرجل طوال الليل .
يوقظ زوجته « دولت » :
- اننى قلق على اسماعيل .

الرجل طيب الى حد بعيد ، العائلة كلها تتندر على أفعاله ،
يعاكس الاطفال الصغار طوال جلسته ، مهما كانت منزلة الموجودين .
يجلس الاطفال فوق ساقيه ويحكى لهم حكاياته البسيطة .
كان يمتلك مصنعا للصابون في كرموز . يرتدى دائما بدلا مخططة ،
ويعلق شعر رأسه بالموسى ويلبس طربوشا .

اشترى عبد العزيز لاسماعيل سيارة صغيرة ، كان يأتي بها الى
ابيه ابو الوفا . يطلق نفيها فرحا ، حتى تنظر « ملك » اليه ،
تلوح بيدها من الشرفة ، تناديه :

— اطلع يا اسماعيل ، بابا في انتظارك .

ويأتي ، ملك تتفرغ له ، لا تحدث سواه ، يجلسان متجاورين ،
يتحدثان ويضحكان .

اسماعيل طويل — مثله — من يراه بظنه أكبر من عمره بكثير .
جاء ذلك اليوم ، وضعت ملك يدها فوق كتفه ، شد اسماعيل
زجاجة العطر من يدها ، ضحكا .
قالت وهي ما زالت تضحك :

— انه عطر نسائي ، اصدقائك سيسخرون منك لو شموا رائحته .
ليس مهما .

صرخ ابو الوفا فيهما : اجئنتما !

اقتربت هي من ابو الوفا ، كانت تضحك ايضا :

— لماذا تصرخ هكذا ، ابنك يريد ان يأخذ زجاجة عطري .

وقف اسماعيل مرتبكا وقد احمر وجهه . ابو الوفا ما زال
نائرا . قال :

— لا أحب هذه الطريقة .

اسرع اسماعيل الى الخارج — نادته « ملك » . ولكنه لم يأت .
لم يرد . صاحت ملك بابي الوفا غاضبة :

— الموقف لا يستحق ما فعلته .

— لقد نسيت نفسك معه .

— اسماعيل لا يأتي الى بيتنا الا مرة كل عدة شهور .

— ولو

كان قلقا من أجله ، ولكنه لم يظهر هذا لها .

الحت « ملك » بأن يذهب اليه في بيت جدته ليصالحه
ولكنه قال :

— سينسى هذا وسيأتي كمادته

نام أبو الوفا ، ودق التليفون ، يذكر هو - للان - صوت الدق ..
لم يكن ككل مرة . قالت « ملك » فزعة :
- اللهم اجعله خيرا .
لكنه لم يكن خيرا ، صاحت دولت في هلع :
- ابنك تصادم بسيارته .

.. .. .

كان اسماعيل يرقد فوق الفراش ، وجهه أصفر .
احس أبو الوفا ان الموت يقترب منه .
دولت تبكي في صفت ، والجد عبد العزيز منزو في ركن الحجرة ،
يشد منديل به بأسنانه ويبكي .
نظر اسماعيل اليهم جميعا ثم مات .
أحقيقة أنه أماته عندما أغضبه ، أم أن سرعته الزائدة بالسيارة هي
التي فعلت به هذا ..

.. .. .

ارتعشت يدا أبي الوفا فوق عجلة القيادة . احس بأنه سيصطدم
بالسيارة التي تسبقه .
- ها انا في الشقة وحدي ، حتى الخادمة طردتها .
دخل حجرته ، ارتقى فوق الفراش بملابسه . أضاء المصباح ، رمى
حذاءه من قدميه ، وسار بالجورب .
الدولاب مفتوح ، ملاسها أخذتها ، لكن عطرها وادوات زينتها ،
ما زالت فوق « التريجة » مشد صدرها ملقى بجوار السرير ،
لعلها نسيت أن تأخذه ، أو خجلت من حمله عن الارض أمام أخيها ،
الذي كان يتعجلها في انهاء حزم امتعتها قبل أن يعود أبو الوفا .
أمسك المشد . تشنم رائحته ، وضعه فوق الفراش بحذر .
سار في الحجرات الأخرى ، رأى الأشياء كما هي .
لا يذكر انه بقي في الشقة دون « ملك » ، كانت ترافقه في كل
مكان ، حتى في عمله تتصل به ، تطمئن عليه ..
في البيت تسير خلفه :

- أبو الوفا ، أنظر هذا الثوب .

ينظر الى ثوبها ، تتبعه ثانية :

- أبو الوفا ، ما رأيك في هذا العطر ؟

لا تكف عن الحديث ، تحكي له عما قالته الخادمة ، وما قالته
النسوة من خلال نوافل المطبخ . رائحة عطرها تطارده .

ملك تأتي اليه من باب الشقة ، يتابع بياض بشرتها ، نضارة صدرها الذي لم يجرب الرضاعة بعد . تخطو اليه بجسدها البض ، بلون شعرها الشديد السواد . بابتسامتها العذبة . أحقية ، يستطيع أن يعيش في الشقة بدونها؟! أسرع الى الحجرة الأخرى ، وجد الحذاء الملقى بجوار السرير ، وضع قدميه داخله .

سيسرع الى محمود أخيها ، سيأخذها ، سيعيدها الى البيت . لون وجهه يرداد قتامة .

لا يستطيع أن يذهب الى محمود الآن ، ماذا سيقول عنه ، كان يتهمها بالخيانة منذ ساعات قلائل . وكان يطلب منه أن يأخذها ، والان يجيء ليردها الى بيته ، وكان شيئا لم يحدث؟! شعر باخفاق ، ارتمى ثانية فوق الفراش ، أطاح بالحذاء . كيف سيستطيع أن يتحمل ذلك الليل . آه لو أناه النوم سريعا ، حتى يريحه من عناء الأرق .. !

.....

في الصباح ، ارتدى ملابسه بهدوء شديد ، أحس بأن جسده مخدر . وأنه ينقل قدميه بصعوبة لعل هذا من أثر السهر الطويل . حمدا لله لانه يذهب الى عمله بسيارة المديرية . وان سائقا يقود السيارة له . لو كان يذهب بسيارته ما استطاع أن يقودها . حياه السائق ، فتح له الباب ، لا يذكر ان كان قد رد تحيته أم لا . سارت السيارة ، لم يتحدث مع السائق ككل يوم . تابعه السائق يطرف عينه حذرا .

عندما اقتربت السيارة من المديرية . أطلق السائق نفيرا عاليا لينبه الجنود لقدمه .

أحس بأن دقات اقدام الجنود وبنادقهم تدق رأسه . رمى غطاء رأسه فوق المكتب وجلس .

عندما تزوج ملك ، لم تكن بهذا الجمال ، كانت نحيفة ، صغيرة . ربما لم تكن أنوثتها قد نضجت ، وربما لم يتغير فيها شيء يذكر . انما احساسه هو الذي يصور له هذا .

أناه ضابط صغير ، حياه ، قدم له ملفا ، وقع له فوق بعض الأوراق . لا يدري ما المكتوب فيها .

رجع الضابط لمكانه ، واتي جندي آخر بالقهوة . عندما سيذهب الى البيت سيعود الى صورة الزفاف . ليتأكد من

شكل ملك في ذلك الوقت .

اتاه ضابط عجوز . حياه باحترام شديد ، تحدث معه ، لا يذكر ماذا قال . كان يفكر في الحالة التي وصل اليها . لاحظ انه لم يفكر اليوم في خيانات ملك ، ككل يوم . الا يمكن ان يكون ما رآه بالامس غير حقيقي ، وان ذلك الشاب الذي كان واقفا في النافذة ، لم يكن يقف من اجلها .

دق التليفون فوق مكتبه . تحدث رئيسه ، طلب عدة اشياء ... وضع جندى - آخر - كوب شاي امامه ، تذكر انه لم يطلب شاي ولا قهوة ، فلماذا ياتيه الجندى بالشىء ، ربما طلبه زميل .. او ... او ...

انه شديد الغيرة على « ملك » - اجل - كنت تفار عليها حتى من اسماعيل - ابنك - لا تفعل من هذا ، دهشت عندما رأته أصبح رجلا ، يكاد طوله ان يصل الى طولك .. كما انه أصلح منك ، فهو اقل عمرا واكثر رسامة .

قالت « ملك » عنه باعجاب :

- انه ورث عنك العنين ، اجمل ما فيك .

ولكن ، ايعقل ان يكون اسماعيل قد أحب ملك ؟!

دفع صينية الشاي ، انسكب الشىء الساخن فوق ملابس الجندى .

صاح الجندى ، صرخ من لسعة فوق ذراعه العارى .

دفعه بعيدا عنه وسار .

خرج الى الشارع ، لم يجد سيارته امامه . تذكر انه جاء بسيارة المديرية . نظر حوله لم يجد السائق ، الذى جاء به فى الصباح .

سار بخطوات واسعة ، بحث عن تاكسى وركبه ، قال :

- سيدى بشر .

.. .. .

قالت زوجة محمود بابتسامة واسعة :

- اهلا « أبو الوفا » ، تفضل .

ابتسم لها ، أسرع ملك الى الصالة . احقا ان ابا الوفا ، جاءها .

لم يصدق محمود اذنيه .

ماذا يريد من مجيئه ، يريد ان يهينه باكثر مما قاله بالامس ؟!

كان أبو الوفا يقف في منتصف الصالة ، ابتسم لمحمود ، مد له

يده ، ولكن محمود لم يصافحه .

— ماذا تريد ؟

اقترب منه وهو ما زال يتسهم :

— أريد ملك .

— تريدها بعد ما قتلته عنها بالامس ؟!

كان أبو الوفا مصرا على أخذها ، لهذا تمالك نفسه ، لم يرد على محمود بما يجب ، قال :

— حاول أن تكون هادئا .

قاطعهُ محمود :

— هادئا يا « أبو الوفا » ؟! اتقتلني بكلماتك ، وتقول لى « كن

هادئا » آسف . لن تذهب ملك الى بيتك ثانية .

تدخلت زوجة محمود :

— محمود . لا يصح هذا . تفضل يا « أبو الوفا » .

لم يلتفت أبو الوفا اليه ، أسرع الى الداخل وجلس . قالت زوجة محمود :

— دعك منه ، لا تؤاخذه ، انه غاضب الان .

اقترب محمود منه وقال :

— اختى ، لن تذهب معك . أفهمت ؟!

صاحت زوجته :

— يا محمود ، الموضوع لا يستحق كل هذا العناء .

بكت ملك فى حجرتها ، ما الذى يحدث لها ، زوجها الذى أحبته يتهمها بالخيانة ، وأخوها يريد أن ينهى حياتها الزوجية بعناذه .

قام أبو الوفا ، أراد أن يدخل حجرة ملك ، لكن نظرات محمود الغاضبة أبعدته .

خرج مسرعا .

.....

الى أين يذهب ؟! اذهب الى بيته . لقد تحول البيت الى جحيم .

لن يستطيع احتمال البقاء فيه بدونها .

ذهب الى العمل ثانية . أحس الجنود الواقفون بالباب ، انه فى حالة خطيرة اليوم .

ردد أحدهم :

— ربنا بستر .

أشاح بيده ، لما رفع جندى بيندقيته ليحييه ، دفع آخر بعيدا .

صرخ بأعلى صوته ، وتوعدهم بالعقاب .

أحس - قبل أن يصل إلى مكتبه بقليل - أن ساقيه لا تحتلان جسده . وأن يديه ترتعشان .

جلس فوق مقعده متهاويا . نسي أن يخلع غطاء رأسه - ككل مرة - أحنى هامته ، لمح وجهه فوق زجاج المكتب لم يرتج لرؤيته ، رغم أن صورته لم تكن واضحة .

اقترب ضابط شاب ، همس في أذن :

- لو أخطأ الجنود . قل لى وساعاتهم .

صاح فيه :

- لا شأن لك انت ، ابتعد عني الآن .

امسك بالقلم ، ارتعشت يداه ، رمى الورق الذي يحمله الضابط

العجوز ، تناثر فوق الأرض .

جمعه الضابط في ذعر وخرج .

أحس أبو الوفا بعرق بارد فوق جبهته . خلع غطاء رأسه ، وضعه فوق المقعد المجاور . ازدادت ارتعاشة يديه ، نظرس اليهما في دهشة . لم يحس بنفسه . ارتعى فوق المكتب . وبكى بصوت مرتفع - تابعه الجنود القريبون من مكتبه . ونظر إليه ضابط من بعيد . ثم أبعد الجنود ، وأغلق الباب خلفه .

لم يحس بنفسه - الا فوق فراشه في بيته .

زاره بعض الزملاء ، قالوا له أنه اغمى عليه ، فحملوه الى البيت .

.....

امسك بالتليفون المجاور للسرير ، وهو مسترخ تماما . وجد

صعوبة في حمل السماعة ، أحس بأنه غير قادر على الوقوف .

رفع جسده قليلا . امسك بالتليفون . أدار القرص . أحس ثانية

بارتعاشة أصابعه وهي تدير القرص . خمسة . ستة . تسعة . رمى

السماعة في ضيق . لقد نسي الرقم .

أيقظ هذا ، أينسى رقم علوان باشا - زميله السابق .

لقد كان يتصل به في تليفونه الخاص ، كل يوم تقريبا .

أحيانا للسؤال عن صحته ، وأحيانا لأشياء . سوى أن يجدد

علاقته به ، فطلوان باشا قريب جدا من الحكام .

قام من فراشه ، بحث عن أجندة أرقام التليفونات . « ها هو

الرقم » : خمسة . تسعة . ستة . :

- الو

هب معتدلا :

— الو . أجل . أنا أبو الوفا . علوان باشا موجود ؟
أجل . أجل يا هانم . سأتصل به في وقت آخر .
وضع السماعة في ضيق ، ماذا سيفعل الآن ، حتى علوان لا يجده .
كل الأشياء تتفق ضده ..
كانوا يقولون :

— ستصل حتما إلى أعلى المناصب ، كل شيء ممهد أمامك ، ثقة
القادة — تلاميذ شقيقك «أبوزيد» — ووصية «أبوزيد» لزملائه وتلاميذه
بأن يحسنوا معاملتك .

كانوا يقصدون وقوف علوان بجانبه ..
ولكن كل شيء قد تغير ، منذ أن مات اسماعيل .. بكى يومها .
لأول مرة أمام ملك ، ثم أحس بالعار . أسرع ليخفي وجهه بعيدا ،
حتى لا تراه ، ولكنها لمحت الدموع في عينيه .
جزعت . أسرع ، وضمتها لصدرها :

— حرام يا «أبا الوفا» أنك تقتل نفسك هكذا . موت اسماعيل
قدر ويجب أن تتحمله .
أنت بالبخور لتهدأ أعصابه .. كان يحس — وقتها — أنه يريد أن
يبكى .

عندما ذهب إلى العمل ، بكى في أول يوم ، وبعد ذلك كان يأتيه
طيفه ، شارب الخفيف ، وابتسامته العذبة ، كاد يصرخ أبو الوفا :
— لماذا تموت ؟

ثم بكى ..
استدعاه علوان باشا في مكتبه ، قال له ان يتماسك :
— لا ينفع في عملك سوى الأقوياء . الضعيف فيه لا ينفع . موت
ابنك ممكن أن ينهك كضابط ناجح .
ذكره بصرامة أخيه أبوزيد — وما كان يفعله بالمتهمين والمعارضين .
لا بد أن يسرع — الآن — لمقابلة علوان قبل أن يسرعوا ، ويقولوا له
عما حدث .

.....

ركب سيارته ، في طريقه لعلوان باشا .. علوان هذا ، قبل أن
يصل إلى مكانته تلك ، كان يحبه باحترام شديد ، كلما قابله ، ثم
يسأله عن شقيقه أبوزيد ..
لا يستطيع أن يقول هذا لأحد الآن . حتى ولو كان بعيدا عن
العالمين في الشرطة .

لابد من الاحتراس . فقد يصل هذا الى علوان . فيفضب منه . وهو الباقي له الان .

دخل باب الفيلا الكبيرة . احس بارتعاشة جسده كله . ابتسم للجندي الواقف امام الباب تذكر الجنود الذين صرخ بهم في الصباح . سيقول لعلوان انه ليس مسئولاً عما حدث . فالضابط والجنود اثاروه . كما انه كان يعاني من نزلة برد . ادت الى اغمائه .. خاصة بعد المجهود الذى بذله فى العمل .

ارتعشت يده وهو يضغط على الجرس ، سار فى الردهة الطويلة . جلس قلقا ..

اتى علوان ، لم يبتسم له ككل مرة : اهلا « ابو الوفا » . وقف له احتراماً :

– اهلا . علوان باشا .

لم يجلس الا عندما جلس علوان :

– ماذا حدث لك يا « ابو الوفا » ؟!

ارتعد ، بداية ليست حسنة :

– ماذا تقصد يا باشا ؟

قال بحدة :

– الذى تفعله فى المديرية كل يوم .

اول مرة يحدثه بهذه الشدة . فى كل مرة كان يخفف عنه ، اكمل علوان :

– قلت لك من قبل أن تنسى حادثة موت ابنك . ولكن انت كما انت ، حياتك الخاصة اثرت على عملك . وعملك حساس لا يحتمل هذا ..

– ولكن ...

– لقد مزقت التقارير التى كتبت ضدك .

– اشكرك يا باشا . ذلك ما كنت اتوقعه منك .

– لكن . لم يعد لك عمل فى الشرطة بعد الان .

– كيف ؟!

ارتدى فوق المقعد متهاكاً :

– ستنقل الى عمل مدنى .

مدنى ؟! احس بأنه لن يستطيع القيام من مكانه . واحس ان ملك قد أنهت كل شيء .

كان يحلم بأن يكون وزيرا للداخلية . او حتى محافظا ..

- آسف يا « أبو الوفا » . ما تفعله لا علاج له سوى هذا . الكل يتحدث عن تصرفاتك الغريبة .
نكس رأسه وقبع في مكانه :
— ستعمل رئيسا لشركة كيماويات .
— كيماويات؟! وما شأني أنا ...
قاطعها علوان :
— الشركة الوحيدة التي وجدت لها شافرة الآن . واعدك أن أجد لك شركة أكبر في المستقبل .

صالح مجاهد

هبط صالح الدرجات القليلة امام مبنى المؤسسة الكيماوية .
شعر بتعب ، فالحر شديد في القاهرة ، كما ان ماقاله رئيس
المؤسسة لا يدعو للسرور .
وقف بجوار الرصيف ، اخرج منديله ، جفف عرقه واراح يده
من حمل الحقيبة الكبيرة .
فقد أرسلوا اليه ثلغرافا بالامس :

« نرجو حضورك الى المؤسسة الكيماوية ، غدا لامر هام »
رئيس المؤسسة .

ترك والده المريض ، يهذى ، وجاء اليهم . .
استقبله رئيس المؤسسة بود زائد عن كل مرة ، قبل ان يتحدث
طلب له مشروبا مثلجا :
- حمدا لله على سلامتكم .

- شكرا .
- الموضوع الذى طلبتك من اجله - هام وعاجل . وانت اقدر من
يقوم به .
- انا ؟!

- اجل . فهناك رجل عسكرى . اسمه ابو الوفا . .
توقف الرجل عن القول ، ثم نظر حوله ، واقترب منه اكثر
واكمل :

- الموضوع يا ابنى سخيف . ولكن ماذا افعل ؟!

- انا تحت امرك .
- ظروفه الصحية حتمت نقله الى عمل مدنى . ولم يجدوا سوى
شركتك . ليكون رئيسا لها في الاسكندرية . وحالته الصحية
لا تستدعى سفرا وجهدا . وايضا ، لان شركتك الوحيدة التى مازالت
تحت التأسيس ، ولم يصدر رسميا امر بتعيينك رئيسا لها .
اتى السامى بالمشروب الثلج . ابتسم الرجل :
- تفصل يا ابنى . اعلم ان اعصابك قوية . وتستطيع احتمال

انسان مثل هذا .

أمسك صالح بالكوب المثلج ..

يقول رئيس المؤسسة « شركتك » .. أجل . فهو يحس - مثله -
أن هذه الشركة ، شركته .. ولكنه لا يستطيع أن يصل الى مدى
ارتباطه بها .

فقد نشرت إحدى المجلات العلمية مقالا له عن مدى الاستفادة
من ماء البحر . لاستخراج مواد كيمياوية تدخل في الصناعة ، وكان
ذلك موضوع رسالة الدكتوراة التي حصل عليها من كلية العلوم -
جامعة الاسكندرية . وكانت المؤسسة الكيماوية ، تدرس مشروع
اقامة مصنع ، لاستخراج هذه المواد من ماء البحر - بدلا من التي
يستوردونها من الخارج ، فقد كان السؤال وقتها : لماذا لا نفعل
مثلهم ، اليس لدينا بحار مثلهم ؟!

وعندما قرأ رئيس المؤسسة المقال المنشور بالمجلة ، اتصل به
في الكلية ، وعرض عليه أن يترك الدراسة في الكلية ، ويقوم بتأسيس
هذا المصنع . ووعده بأن يكون رئيسا له .

وقف رئيس المؤسسة ، ثم اقترب منه :

- هذا الرجل ، لابد له من معاملة خاصة .
- لماذا ؟

- لأنه مريض نفسيا ، رجل عدواني .

- وما شأنى به ؟

- شأنك أنك ابنى . لقد كنت أتابع مقالاتك العلمية باعجاب

شديد . وسافرت للاسكندرية لاعرض عليك اقامة المشروع .

- أجل . ولكن ...

- لا تقاطعنى ، المؤسسة لها افضال عليك ، لا تنس .

أمسك صالح الحقيقة المسنودة بجوارحه ، بيده . أحس بفثيان ..

ربما لأنه لم يتناول افطاره للآن ..

- ذلك الرجل - يا صالح - مسنود . انه يتصل بشخصية

قوية . قريبة جدا من الحكام .

أحس صالح بأن أصابعه لا تقوى على امساك الحقيقة :

- لهذا ، أخشى أن لم نطعمه ، يكون سببا في الفناء المشروع ،

خاصة انه لم يبدأ الإنتاج بعد

- سأفعل ما أمرتني به .

- أرجوك يا ابنى . لا أريد أن يحدث لى مكروه على آخر أيامى .

سيصلكم الرجل في الفد هاهى الاوراق . معتمدة من رئاسة الوزراء .

.....

اتصل بأمه من تليفون السكة الحديد :

- آلو . ماما . أنا صالح . كيف حال أبى ؟

- بخير . كيف حالك أنت . أخشى أن تكون قد أصبت ببرد ، صوتك غير طبيعى .

- ربما لبعد المسافة . يصلك صوتى هكذا .

جلس فى بوفيه المحطة ، سيشرب فنجانا من القهوة . الى ان يحين موعد قيام القطار . احس بالراحة وهو يجلس فوق المقعد . وخوفا من أن ينام - من فرط الاجهاد - فيفوته القطار . فلقد بقى ساهرا لوقت متأخر من الليل ، بجوار والده المريض . قال له والده - وقتها - :

- أخشى أن أموت قبل أن اكمل كتابة مذكراتى .

ابتسم له مشجعا :

- ستميش مائة سنة أخرى . وستكتب ما تشاء من مذكرات .

- لقد كتبت جزءا منها . ومشغل الحياة والمرض . الهتنى

عن هذا .

لمس بأصابعه كوبا من الماء المثلج . اتاه به ساقى البوفيه . .
(كانت صغية - ابنة على منصور - صديق والده ، تحدثه عن أبيها بفخر :

لقد كتبت مذكرات أبى بيدي . وبعدها أحسنت بالفخر ، لقد سبق أبى وأبوك رجال الثورة ، لقد ثارا مع الثائرين ضد الانجليز والخونة ، قبلهم .

لم يكن يهتم وقتها بهذا . حتى عندما نشرت احدى المجلات موضوعا عن (على منصور) ووالده وبعض المناضلين - قبل الثورة - لم يكمل المقال ، اكتفى بالنظر الى صورهم ، وما كتب تحتها . كان يتابع صدر صغية المترجرج ، وهى تنحنى لتريه زهورها . يشرذ فى أشياء بعيدة عن حديثها .

كانت تكبره بعامين ، طالبة فى كلية الاداب ، تشبه والدها . . وجهه الاسمر ، وأنفه الكبير . لكن حركاتها كانت تثيره . لا يدرى سبب هذا ، ربما لانه كان صغيرا .

تعمل صغية الآن صحفية فى مجلة (العهد السعيد) .

عندما يتصفح المجلة ، ويجد لها مقالا منشورا ، يضحك . فهي كما هي ، الحديث عن أبيها ورفاقه ، وعن النساء وحقوقهن . يحس أحيانا أنها تتذكره وهي تكتب هذه المقالات . إذا ما زار القاهرة يمر عليها في المجلة ، تتحدث معه كأنها لاتزال الطالبة في كلية الاداب .

لكن هذه المرة لا يجد رغبة في زيارتها . بعد حصوله على الثانوية العامة ، التحق بالكلية الحربية .. أحس - وقتها - أن والده سعيد لهذا . لم يتحدث معه . لكنه سمعه يتحدث أمه قائلا :

- لو سلكت هذا الطريق ، لحققت فيه أشياء كثيرة . لم يهتم بقوله ، وكذلك لم يسمع لأمه ردا . فلقد اعتادت الاسرة كلها على اهتمام الاب بالسياسة وتاريخه النضالي . اتصل والده بصديقه (على منصور) الذي يعيش في القاهرة . قال له عن التحاق ابنه بالكلية الحربية . قال الاب - بعد ذلك - سعيدا :

- على منصور سعيد لهذا . ويطلب اليك أن تزوره في القاهرة . عندما سألوا صالح في الكلية ، عن أقرب عنوان له في القاهرة ، كتب عنوان (على منصور) . فلم يكن له أقارب في القاهرة ، كما أن على منصور ، صديق حميم لوالده ، وكثيرا ما أتى بأسرته لزيارتهم في الصيف بالاسكندرية .

الفيلة كبيرة ، محاطة بالحدائق والقطط الكثيرة تحوم حول صفيّة . ووجه على منصور الممتلئ الاسمر في أجازاته ، يحمل الحقيبة ويذهب اليهم ، نفيسة هانم زوجة على منصور تضمه اليها :

- لم أرزق بولد وانت ولدي . أنت شقيق لصفية .

يقسم الرجل - أحيانا - بالا يذهب صالح الى الاسكندرية . وأن يقضى يومى الخميس والجمعة معهم وتسرع صفية لتتصل بالاسكندرية ، تخبرهم بهذا . قبل أن يبدى - هو - موافقته . لكى تجبره على البقاء معهم .

ولكنه فصل من الكلية بعد قضاء أكثر من عام .. لم يكن يعلم وقتها سبب ذلك . ولكنه أحس أن لعلى منصور دخلا في هذا - فقد سألوه قبل الفصل بساعات عن صلته به .

يذكر جيدا - ما حدث بعد عودته من القاهرة حاملا كل ما كان يخصه في الكلية ، في حقيبة ..

شعر رأسه ما زال قصيرا ، ولحيته لم تحلق منذ أن أخبروه بخبر الفصل .

كان مذهولا ، ماذا فعل ليطرد . الآن أباه كان صديقا لعلي منصور . الذي غضبت الثورة عليه .

يقولون انه قد ارسل اليهم خطابا ، ينصحهم فيه بالعودة الى ثكناتهم وترك البلاد للسياسيين ، أغلق صالح حجرته على نفسه ، وظل صامتا لأيام عديدة . سمع أمه تقول لأبيه - خارج الحجرة :

- هذا ما أخذناه من السياسة . حتى بعد أن كبرت وصرت غير قادر على فعل شيء . تطاردك السياسة - أيضا - في أبنائك .

ويردد الرجل بصوت هادئ ، ضعيف :

- قضاء الله وقدره .

(عندما قامت الثورة . قال لزوجته فرحا) :

- سأجنى - في هذه الايام - ما زرعته ، لا شك انهم سيقدرون

ما فعلناه من أجل مصر .

تجمدت الدموع في عيني صالح لعدة أيام . شاردًا لا يذوق سوى الماء والقهوة والشاي . كل ما يراه في نومه وصحوه :

سيروه بعد الطرد وهو يحمل الحقيبة بجوار فيلا على منصور .. والجنود يحيطون بها . وقفل كبير يتدلى وسط الباب من الخارج

لم يسأل عما حدث ، كان فرعا .. أقبض على (على منصور) الرجل المعجوز الطيب . ونفيسة هانم ، أهذه يمكن أن تسجن ، أو

تتحمل كلمة بذيئة من جندي ؟

بكى وقتها وهو يعطى ظهره للفيللا .

تذكر وجه صفيه ، ابتسامتها ، كلماتها السريعة المتلاحقة من

السياسة وحقوق المرأة .

حديثها لم يسمعه من امرأة من قبل .

عاد بعدها الى الاسكندرية ، وقلقه على هذه الاسرة يفوق قلقه

على مستقبله .

اقترب أبوه منه بعد ذلك ، قال :

- ألسنت برجل . ماذا حدث لكل هذا الحزن . الآنك طردت من

الكلية . الدنيا ما زالت أمامك . ماذا كنت ستفعل لو حدث لك أكثر

من هذا . لقد اعتقلت أكثر من مرة . وتعرضت للموت . وما زلت

كما أنا .

أصر الرجل على أن يتناول ولده الطعام من يديه .

بكى صالح - يومها - بحرارة . منذ أن عاد الى الاسكندرية لم

يك .

نظر في ساعته وجد انه لم يتبق على قيام القطار سوى دقائق قليلة . أسرع اليه . نظر من نافذته المغلقة . ورمى رأسه للخلف . اراد ان ينام . لم يستطع .

قدم أوراقه - بعد ذلك - الى كلية العلوم بالاسكندرية . اجتمع مجلس الكلية ، قالوا : سنعطيك فرصة أخيرة . لم يسأل عن قصدهم عن كلمة (فرصة أخيرة) ، يعاملونه وكأنه قد اذنب . وكان فصله نتيجة لهذا الذنب . رغم هذا قال : أجل ، هذه آخر فرصة .

ابتسمت أمه وهى تفتح الباب ، أحس بالراحة . فمعنى هذا ان والده بخير ، قبل أمه ، وقال :
- أبى بخير . اليس كذلك ؟

- أجل .
أسرع الى أبيه ، كان الرجل يستند على حافة السرير ، وفى يده كوب شاي :

- انك بخير يا أبى .

- الحمد لله .

جلس بجواره ، قال الاب :

- كانت وعكة صحية قاسية . لم أكن اظن انى سأبرا منها .

أمسك صالح الشاي منه ، حتى يعتدل على السرير .

- لم أكن أخشى الموت . بقدر خوفى الا اكمل كتابة المذكرات .

لم يجبه صالح ..

يحبس الاب أن الجميع لا يهتمون بحديثه عن ماضيه . لا يعارضونه ، ولكنهم لا يتحمسون .

- صدقنى يا صالح . ما حدث يستحق التسجيل .

- أجل . صفية ابنة على منصور . قالت لى هذا أيضا .

- سأبدأ فوراً فى الكتابة .

- سأبدأ معك .

دخلت الأم :

- صالح . أنت متعب من السفر .

صاح الاب سعيداً :

- ستساعدنى يا صالح ؟

- أجل .

سار مع امه . لا يدري لماذا قال لاييه هذا . يشعر برغبة في أن يقرأ ما كتب أبوه . وأن يكتب باقى المذكرات بيده . لو علمت صفة بهذا لن تصدق . فقد كان يصدها كلما حدثته عن السياسة .

صفة ما زالت عذراء رغم مرور السنين .
تسكن نفس القيللا وحدها ..

الاب مات ، والام كذلك ، وهى كما هى . كلما زارها احس بانها سعيدة رغم البقاء بلا زوج الكتب حولها من كل جانب .
تقف سعيدة اذا ما راته . تخرج من خلف مكتبها . تحمل النظارة بيدها . تمسك يده تتحدث بسرعة وحماس كما كانت .

تدور وهى ممسكة يده . تسير معه فى نفس الاماكن التى سارت فيها - ايام أن كان فى الكلية الحربية . يخيل اليه - وقتها - أن على منصور سيأتى بطربوشه . ومعه نفيسة هانم .

تنحنى صفة . تهذب بعض الازهار ، تغير الموضوع الهام الذى كانت تتحدث فيه ، لتذكر له اسم الزهرة التى تمسكها ، وكيف زرعتها ، ومن أين أتت ببذورها .

لكن بعد أن يفارقها يرثى لحالها ، الى متى ستظل هكذا . بلا زوج .. انه اقل عمرا منها ورغم هذا . بدأ المشيب يغزو رأسه .
ويتذكر أنه لم ير شعرة واحدة بيضاء فى شعرها ، ولا يظنها تستخدم صبغات لتخفى الشعر الأبيض .

استيقظ صالح مبكرا ، نظر الى حجرة والده ، اطمأن لوجوده .
بحس أحبانا بأنه سيستيقظ يوما ، فلا يجده بينهم .
أحسن برغبة في تقبيل وجهه الشديد النخافة .
ارتدى ملابسه . وقف في الشرفة ينتظر سيارة الشركة .
ظل السائق يطلق نغير سيارته لمدة طويلة . حتى أفاق من شروده ،
قال السائق :

— حمد الله على سلامتك .

— الله يسلمك .

— افتقدناك في الشركة ، أرجو ان تكون قد وفقت .

— أجل .

الكل قلق عليه ، فالتغراف الذي أرسله رئيس المؤسسة باستدعائك
كان مفاجئا لهم جميعا .

قال عبده رشوان — المسئول المالي بالشركة :

— ان رئيس المؤسسة يطلبه ، ليسأله عما تم من انجاز في العمل .

واكد ابراهيم زيدان — المسئول الادارى :

— لعله يطلبه لصرف مكافأة لنا ، على المجهود الذي بذلناه في انشاء
الشركة .

لهذا ، أسرعوا اليه عندما راوه يدخل باب الشركة :

— خيرا ؟

قالها عبده وهو يشد على يده ، وأسرع ابراهيم ليسمع ما سيقوله
ابتسم صالح قائلا :

— انتظرا حتى اجلس .

التف حوله كل العاملين في المشروع ، قال :

— الموضوع هام جدا ، ولا أستطيع التحدث فيه هنا .

دخلوا خلفه الحجرة . البعض جلس على المقاعد ، وظل الباقون
واقفين .

— سيأتى الى الشركة رئيس جديد .

زاموا ، قال عبده :

— وانت ؟!

ضحك :

— الرئيس الجديد ضابط سابق في البوليس !

— ضابط ، وما شأنه بشركة كيماويات ؟!

— ليس هذا موضوعنا .

صالح أقل عمرا من كثيرين معه . لكنهم مرتاحون له . فهو يحسن

معاملتهم .

— الموضوع أن رئيس الشركة عصبى المزاج . ونقل من البوليس

لأن حالته سيئة .

زاموا :

— وما ذنبنا نحن ؟

ردد آخر :

— لسنا بمصحة عقلية .

صاح صالح :

— أرجوكم ، ذلك الشخص يتصل بشخصية قوية ، قريبة من

الحكام . ومن الممكن أن يلغوا المشروع من أجله . خاصة أننا لم نبدأ

الانتاج بعد .

صمتوا . .

— لهذا ، أرجو أن تساعدوني ، حتى لا نفقد المشروع الذى تمينا

في صنعه معا .

قال ابراهيم :

— ولكن رئيس المؤسسة وعدك من قبل ...

قاطعه صالح :

— الرجل معذور . انها أوامر لا تقبل جدالا .

نظروا الى صالح فى صمت ، قال صالح لعبده :

— أرجو أن تستعدوا لاستقباله ، وأن تجهزوا له هذه الحجرة .

وجهزوا لى حجرة أخرى .

جمع ابراهيم زيدان بعض العمال ، وجعلهم يمسحون الأرض .

واستدعى النقاشين والخطاطين ليكتبوا اللافتات التى ترخب برئيس

الشركة الجديد . فريما يأتى فجأة .

عاد صالح الى بيته . .

دخل حجرة أبيه ، وجده مشغولا بجمع أوراقه القديمة :
- كيف حالك يا أبى ؟

ابتسم :

- تعال . اننى أعد المذكرات لتكملها معى . كما وعدت .

جلس صالح أمامه ، أخذ يبحث بين الأوراق ، أنت أمه :
- متى أتيت ؟

نظرت شذرا الى أوراق أبيه .

لقد عانت كثيرا من السياسة ، فقدت شقيقها ، وتركها زوجها
سنوات طوال ، عندما كان معتقلا مرة فى الفيوم ، ومرة فى سجن
الحدراء ، وكثيرا ما دقت الشرطة بابها ليلا . بحثا عنه أو بحثا
عن أوراقه .

فكيف تترك ولدها يذهب هو الآخر بعيدا عنها .

لم تجد الام ما تقوله ، فخرجت . أمسك صالح بأوراق أبيه وقال:

- سأطلع عليها ، وسأكمل الباقي معك .

صاح الاب :

- صالح . حافظ عليها جيدا .

صفحات من مذكرات « مجاهد عبد الراضى »

ولدت فى ٢٤ ابريل عام ١٨٨٢ بشارع جودة فى حي الانفوشى ..
ادخلنى والدى مدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية بزاوية
خطاب ، وكانت تعلم القرآن الكريم واللغة العربية .
كنت اذهب الى المدرسة راكبا عربة حنطور . تقف امام بيتنا
كل صباح ، رغم ان المسافة ليست بعيدة ، ولكن والدى يصر ان
يعرف اهل الحي ، انى اتعلم فى مدرسة « حيث كان الذين يتعلمون
فى المدارس ، فى هذا الوقت ، قلة » .
وبعد ان اكملت حفظ القرآن الكريم ، واجدت قواعد اللغة
العربية . التحقتنى المدرسة بورش « حسبو بك محمد » (١) لتعليم
السبابة وخرطة المعادن .

بعد انتهاء عملى ، اذهب الى ورشة أبى فى « الهماميل » وهو
حي يقع بين المنشية واللبان ، وتكثر فيه ورش السبابة والحدادين .
وكانت معظم ورش الحى تعمل فى صناعة « الهماميل » ، وهى
القوادرىس التى تحمل الماء فى السواقى . ولهذا سُمى الحى باسمها
تعرفت بعد ذلك على « على منصور » ، قابله اول مرة فى ورشة
أبوه « محمد منصور » ، وهى اكبر ورشة فى الهماميل كلها .
وتقوم بصناعة عجلات العربات الكارو . وعجلات عربات الحنطور
والهماميل .. الخ .

عندما رأيت على منصور ، اقتربت منه . أحسنت بحب له .
فقد كانت ملابسه نظيفة ومنظمة .. حيث انه لم يكن يساعد والده
فى الورشة . ويتعلم فى مدرسة الاقباط الارثوذكس . لا فى ورش
حسبو بك ، مثلى .

تكررت رؤيتى له . فقد كان والدى يتعامل مع والده أحيانا .
يمهد اليه التجار بصناعة الهماميل فاذا ما كانت الطلبات عنده
كثيرة ولا تستطيع ورشة انجازها كلها استعان ببعض الورش
الصغيرة . ومنها ورشة أبى .

(١) كرمت بلدية الاسكندرية حسبو بك محمد ، فاطلت اسمه على شارع صغير بحى
محرم بك متفرع من شارع منشار تخليفا للدوره فى تعليم الصبيان الصناعة .

ثم جاء على لزيارتى فى ورشة أبى . لاحظت أنه بمسك دائما بجريدة . سألته عنها فقال :
- انها جريدة اللواء .

أخذ يحدثنى عن مصطفى كامل . واللواء ، والانجليز .
كان والدى سعيدا بعلى لسبيين :

الاول : لانه ابن محمد منصور ، صاحب الورشة المشهورة بالهماميل . والفنى جدا . وان صداقتى لابنه ، قد تؤدى الى أن يعلم الرجل . فيهتم بأبى . ويعهد اليه بصناعة عدد اكبر من الهماميل . التى يتعاقد على صناعتها مع التجار الكبار .
الثانى : ان عليا ما زال فى مدرسة . وهو غير الاولاد الذين يترددون على الورشة ، يدعونى لعمال سوء . كمتابعة المغنين ، وتدخين السجائر .

بعد أن ذهب على . قال أبى فرحا :
- ولد مؤدب . ليتك توطد علاقتك به .

قوات مجلة اللواء التى تركها على لى ، ثم واظبت على شرائها بعد ذلك .

أتانى على ببعض الكتب ، وجدت صعوبة فى قراءتها - فى اول الامر - لا لانى لا أجيد القراءة . ولكن . لانى لم أعودها .
بعد ذلك صار هذا على سينا . فعرفت بأعة الكتب والمجلات .
ثم بدأت أناقش على فيما قرأته .
عرض على « على » الاشتراك فى جمعية تعمل لصالح مصر بقوة السلاح .

ظلمت شاردا طول الطريق . كنت أريد أن أوافق . ولكن الخوف منعنى :

- ماذا ترى ؟

- ولكنى لا أجيد استعمال أى نوع من الاسلحة .
- ستعلمك الجمعية كل شيء .

كنت قد تأثرت بعلى . قبل أن أعرفه لم أكن أقرأ سوى أسماء عملاء أبى . وأرقام مبيعاتهم .

لم أكن أبرح الورشة الا لقضاء الحاجة فى مقهى قريب . ثم العودة . فقد كان أبى يحذرني دائما من رفاق سوء .

ولكن « عليا » جعلنى أرى أشياء جديدة . لم أكن أعرفها :
- موافق .

شد على يدي فرحا :
 - لا تقل هذا لأحد . وسأقابلك بعد أسبوع .
 - أسبوع ؟! لن أقابلك أسبوعا بأكمله ؟!
 - أجل . سأسافر لقضاء بعض الحاجات ، وسأقابلك السبت القادم ..
 علمت بعدها . انه سافر الى القاهرة ، ليستأذن اللجنة العليا
 الجمعية في ضمي لها .

 ظللت أنتظر يوم السبت بلهفة .
 اقف امام النار شاردا ، يصرخ ابى في :
 - مجاهد . احترس .
 اصحو فرعا . أجيب ابى . ثم أعود ثانية لشرودى .
 وجاء « على » يوم السبت كما اتفق معى . قبلته فرحا . وصاح
 ابى معابا :
 - أسبوع بأكمله لا نراك .
 - مشاغل يا عمى .
 سألته ابى عن والده ، وعن صحته . وسرنا معا . كانت هناك
 عربة حنطور تنتظرنا ، صعدنا اليها ، همس على :
 - أرجو أن تستجيب لكل ما أمرك به . ولا تسأل الا عن شيء .
 أومات براسى ولم أجب .
 لم ينظر السائق إلينا . لم أر وجهه . كما أن الوقت كان متأخرا .
 والشوارع تكاد تكون خالية من المارة .
 أخرج على مندبلا . وعصب عيني ، ارتعش جسدى . ولكننى
 تذكرت ما قاله على .. فصمت .
 سارت العربة حوالى ثلث الساعة ، وأنا كما انا .
 تمنيت أن أسمع حديثا بين على والسائق . لأحس أنهما ما زالا
 موجودين معى . أو أن آخرين قد انضموا اليهما .
 وقفت العربة دون أن يقول على للسائق « توقف » .. أمسك
 على بلداعى وقال :
 - هنا ...
 هبطت من العربة بمساعدته . دخلنا سردابا . كدت أتعثر فيه .
 لولا أن رفعتنى « على » مرددا :
 - احترس .

ثم سلمنى - بعد ذلك - الى اثنين - تبادل التحية معهما دون ان يذكر اسميهما .

- اخذانى واجلسانى فوق مقعد . ثم سألنى أحدهما :

- تعرف أين أنت الآن ؟

- كلا ..

- تعرف لماذا جئت الى هنا ؟

- أجل ..

- مستعد ان تعمل فى جمعية سرية لخدمة مصر ؟

- أجل ..

- وأن تضحي بالمال والروح والاب والام والابن فى سبيل مصر ؟

- أجل ..

- اقسم اليمين .

حذرني محدثي ، قبل ان اقسم ، ان الرجوع عن القسم ستكون عاقبته الموت لا محالة . واثنى ساكون طوع امر الجمعية فى أى وقت ، وفى أى امر يأمروننى به .

وضعت يدي فوق المصحف واقسمت . ثم امرنى ان امد يدي فجذمت وابتعدت . ثم امتدت يدي ثانية . لتلمس جمجمة بشرية ، وأطرافاً صناعية (كانوا يأتون بها من مدافن العمود خصيصاً لهذا) . ضحك محدثي قائلاً :

- مبروك . أصبحت الان عضواً فى جمعية التضامن الاخوى . وستكون ضمن مجموعة مكونة من أربعة أفراد . تأييك أوامرنا عن طريق « على منصور » مندوبنا طرفكم ، فلا تحاول أن تتعرف على أكثر من هذا .

.. .. .

وخرجت معصوب العينين ومشيت مع (على منصور) حوالى ربع الساعة . ثم أزال الفطاء .

فنظرت حولى . فإذا أنا بين مينا البصل و « اللبان » . قال على مبتسماً :

- مبروك .

أحبست وقتها . ان عيسى قد تغير . قامته طالت . وازداد عرضاً . كأنه ليس عليا . الذى قابلته منذ سنوات فلال .

- لقد تأخرنا يا مجاهد . سنفترق الان ، وسأتى اليك بعد ايام لتحضر أول اجتماع لنا .

.. .. .

أتى على فى الغد . صاح أبى فرحا به :
- أهلا أستاذ على . تفضل .

كان أبى يسمع لنا بالجلوس خارج الدكان ، وإذا ما أتى عميل
للاتفاق على صنع شيء . يسرع إليه أبى قائلا لى :
- لا تدع صديقك . سأفقد أنا مع الزبائن .
سرت بعد ذلك مع « على » ، دخلنا بيتا قريبا جدا من بيتنا ،
فى شارع جودة ، يطل على البحر من ناحية الأنفوشى .
رايت هذا البيت كثيرا ، ولم أكن اعتقد قط ، ان لجنة بهذه
الخطورة تجتمع فيه .

كان بيتا صغيرا . مكونا من دور واحد .
دخلنا معا ، وقف ثلاثة شبان عندما رأونا . فوجئت بوجود شاب
أراه يوميا يمر أمام ورشة أبى . لكننى لم أعرف اسمه .
كان يدخل البيت المواجه لدكان أبى فى « الهاميل » . وكان
معروفا فى الحى بلقب « الأستاذ » حيث يعمل مدرسا .
قدمنى على لهم وقدمهم لى :

محمد عوض جبريل .. تاجر غلال بمينا البصل .
عبد الله حسن عوض .. موظف بالجمارك .
واقترب الثالث منى :

- حمدى شعراوى .. مدرسة بمدرسة الجمعية الخيرية
الاسلامية .

ربت حمدى فوق ظهرى قائلا :

- اننى أعرفك ، كنت أتابعك من نافذتى . وانت تقف فى ورشة
أبيك . ثم رايت على منصور يكثر من الحضور اليك . فأحسست
أنك ستنضم إلينا .

الكابوس

يتقلب أبو الوفا فوق فراشه كثيرا ، النوم يعانده . منذ زمن بعيد وهو يكره النوم .

عندما كان طفلا قال لوالده :

— اننى لا أستطيع أن أنام بالنهار قط .

قال الأب :

— ذلك دليل صحة .

أهو الآن لا ينام لانه قوى صحيح ، أم ان الارق قد نال منه ؟!

كان قويا حقاً وهو صغير . لم يستطع أحد من اقوانه أن يغلبه .

كانت بسرأى الباشا حديدة ثقيلة للتمرين . لم يستطع أن يحملها

سواه ، وآخر من البلدة لا يذكر اسمه الآن .

تساجر يوما مع رجل من أهل البلدة ، ضربه أبو الوفا . اتى

الرجل بعدد كبير من أقاربه .

ولكن أبا الوفا غلبهم جميعا .. جرى خلفهم .

لأن ، يسخر أهل البلدة منهم ومن اولادهم . قالين لهم :

— أبو الوفا حسنين جرى وراءكم بمفرده .

نفعه هذا كثيرا ، فبعد تخرجه فى مدرسة الكونستبلات عمل

فى مأمورية الضبط مع شقيقه أبوزيد حسنين . ولكن لم تجمعهما

بلدة واحدة .

كان أخوه ينقله دائما بعيدا عنه . بعد أن يوصى من يعمل معه بأن

يحسن معاملته .

قام ونظر فى ساعته ، وجدها تقترب من الثانية عشرة .

شعره أشعث ، ووجهه مكدود ، لحيته لم تحلق منذ أن تركت

« ملك » البيت . وعيناه حمراوان .

تحسس لحيته بأصابعه . الشعر الابيض صار هو الاغلب .

دار فى الحجرات .

تذكر يوم أن مات اسماعيل ابنه خرج — يومها — الى حديقة

المستشفى الكبير .

ارتمى فوق الارض ، بكى ، التف الناس حوله ، لأمه بفض أقاربه

تالين :-

- الناس تتفرج عليك .

لم يستطع حضور الجنازة . فقد حملوه فاقد الوعي الى البيت .
ثم الى عيادة طبيب امراض نفسية وعصبية . بقى بعيادته عدة ايام .
احس آلاما حادة وطنين في اذنيه . وان أعصابه مرتخية ، لا يستطيع
ان يمسك بأصابعه . كانت ملك لا تبارح حجرته ، تبكى من أجله .
خرج من العيادة ، ولكن آلام اذنيه لم تفارقه . وكذلك ارتعاشه
بيديه .

زاره علوان باشا وقتها . نصحه بعرض نفسه على طبيب اذن
مشهور بالقاهرة .
سافر اليه مع ملك ، ولكن دون فائدة ، فقد أكد له الطبيب ،
أن حالة اذنيه طبيعية ، وانما الآلام التي يحس بها . بسبب حالة
نفسية .

نظر ثانية الى المرأة . احس بأنه لن يستطيع البقاء في الشقة .
ارتدى ملابسه على عجل . لا يدري ما الذي ارتداه .
ركب سيارته وسار بها مسرعا . الشوارع خالية .
انه الآن - وحيد ، الكل تركه ، أبوه مات دون أن يترك له شيئا .
وأمه تبعته - حتى شقيقه - الأكبر - أبوزيد مات .
ومات اسماعيل بين يديه . وها هي ملك تتركه الآن .
اقترب من الابراهيمية . ازدادت ارتعاشة يديه فوق عجلة
القيادة . وطارده الطنين في اذنيه .
أراد أن يتوقف ليضغط على الأذنين بيديه .

لا يدري كم مكث في الخارج . فتح باب شقته . كان يفكر في
طريقة ينتقم بها من محمود شقيق ملك . فكر في أن ينتظره في طريق
عمله . ويكسر رأسه .

تخيل الدم يسيل من جبهته . وفوق رأسه . تخيله يصرخ
ويضع يده فوق الجرح . ليمنع النزيف .
بعد ساعات قليلة ، قضاها مؤرقا . احس بضوء الشمس ،
ودقات على الباب ، أسرع الى الباب وجد « ملك » أمامه بحقيبتها :
- ملك .

طالعته بأبتسامتها .

- أجل . اتسمح لي بالدخول .

أفصح لها مكانا لتدخل . وسار خلفها .

كان يود لو رآها . ود لو شدها لصدرة ، وأبقاها لساعات طويلة داخله ..

وضعت حقيبتها ونظرت إليه دهشة :

— ما هذا ! أنك فى صورة بشعة .

لمست يديها وجهه . شعر براحة شديدة للمس يديها .

وضع رأسه فى صدرها وبكى . قالت :

— لم أستطع أن أتركك فى هذه الحالة ، رغم معارضة أخى

محمود . ولكننى أصررت على أن أعود إليك . أعلم أنك فى حاجة الى .

أحسن بأنه قد عاد الى أيام سعادته الاولى معها ..

لو كانت تكرهه — أو تخونه — ما كانت أتت إليه هكذا ..

ضمته لصدرها ، بكى ، وبكت هى الأخرى .

— لماذا يا « أبو الوفا » . لماذا ، أنا أجبك ، صدقنى :

خلع ملابسك ، رماها ، أعدت له حماما ، قالت :

— لن ارتاح حتى تعود الى ماكنت عليه . قم لتخلق لحيتك

الآن .

تبعتها كطفل صغير . سعيد بقاء أمه .

دار فى الشقة فرحا . الشقة ليس بها طعام ، كما أنه فى ثورته رمى

كل مايلقاه فى طريقه

ساعدتها فى ترتيب الأشياء . ضحك . قالت :

— اسعد عندما أراك مبتسما . ليتك تبتسم دائما .

ارتديا ملابسهما . ذهبا الى النادي .

تذكر يوم أن تزوجها . كانت خجلى . تخفى وجهها يديها ..

! صغيرة كانت . وهو جرب كل شيء . حملها بين يديه . ضحكت

فى خجل .

بعد ساعات قلائل . أحست بالفة نحوه . حكمت له عن رغبتها

فيه . منذ أن ماتت زوجته الاولى — أم اسماعيل — كان لديها

احساس بأنه سيأتى ليتزوجها . أيام أن كان يأتى لزيارة شقيقها

محمود .

أخذها بعد أيام — من زواجهما — الى النادي ، كانت تدخله لأول

مرة .

أحست أن الذين يعرفونه — من قبل — يتهامون :

— انظروا الى « أبو الوفا » ، لقد صغر عشرين عاما . كأنه يتزوج

للمرة الاولى .

كان يرتدى ملابس لا تليق بعمره . ملابس لم ترها عليه « ملك »
أيام أن كان يأتي إليهم .

نسى أبو الوفا حاله ، لا يريد أن يتذكر الشركة التي سراسسها
من القذ .

كلما خطرت بباله ، حرك يده في ضيق ليطردها .
فليمش لحظاته سعيدا مع ملك .

تباعد أعضاء النادي ، عندما رأوهما معا . فهم يعلمون مدى غيـرته
عليها .

تنظر ملك الى الناس . تود لو شاركوها جلستهما . تمنى لو
أسرعت إليهم . تلعب معهم . كما كانت تفعل قبل .
ولكنها تخاف أن يعود ثانية الى غيـرته .

في السيارة . قال لها :

— لقد نقلت من العمل .

قالت فرعة :

— ستترك الاسكندرية ؟

— كلا . سأترك الشرطة نهائيا .

— كيف ؟

— نقلت الى عمل مدني ، رئيسا لشركة كيماويات .

— لماذا لم تقل لي هذا بالامس .

— كنت أريد أن أسعد للحظات .

أحس برغبة في البكاء على صدرها ، وأحسنت — هي — برغبة
بضمه .

الدموع انثالت رغما عنه :

— يجب أن تتماسك ، لقد كنت ناجحا في عملك السابق .

ستنجح في عملك الجديد .

— اننى لا أفهم شيئا في الكيماويات .

شردت ، كيماويات ، ماشأنه هو بهذا ؟!

— سيكون لك مساعدون يفهمون في الكيماويات .

كان متعبا ، لم يستطع أن يقاوم ، أحس باسترخاء شديد .
رغبة في النوم . ليالى طويلة لم ينم فيها سوى سويـعات قليلة .

قبلته « ملك » كطفل صغير ، نام فوق فراشه ، و « ملك » في

الحجرة الاخرى ، تمد له ملائسه التى سترديها فى الصباح . لم يصدق أن النوم سيأتيه .

اتاه أبوه حسنين ، ببذله القديمة ، التى لا لون لها .. والمنديل الأبيض المتسخ - تحت الطربوش - وبديه تطبقان فوق الكرش الممتد فى ذل أمام الباشا .

- ولدى أبو الوفا .

أسرع أبو الوفا الى الباشا ، قبل يده « كما أوصاه أبوه قبل أن يدخل »

- أبو الوفا يريد أن يلتحق بمدرسة الكونستبلات ياباشا . ضحك الباشا :

- ابنك أبوزيد ضابط كبير الان . يمكنه أن يسهل لك هذا . شد أبوه يديه فوق الكرش :

- حاشا لله ياباشا . ليس لنا - فى الدنيا - سواك . حتى لو وصل أبوزيد انى لدرجة وزير .

- أريد أن تحول بيتك الى قسم شرطة ألم يكفك ضابط واحد . ضحكوا بصوت مرتفع .

كان أبوه يخفى آلامه . من تجاهل أبوزيد له . القرية كلها تتحدث عنه - اسمه يكتب الان فى الجرائد القليلة التى تصل القرية ، ولكنه لا يأتى اليها أبدا .

قالت أم أبى الوفا لأبيه :

- يارجل . اذهب اليه وابحث عنه فى القاهرة . أى جندي فى الشارع تسأله عنه ، سيدلك .

ولكن الرجل لم يذهب ، قالت :

- أنه لا يريد أن يأتى من أجلى ، انه لا يحبنى ، رغم أنى عاملته كابنى تماما .

كانت أمه تكذب . فقد قسنت عليه ، ولكن أبا الوفا كان يحبه .

فقد حمله أبوزيد صغيرا ، فوق كتفيه ودار به القرية .

أراد أبو الوفا أن يخرج من « السرايا » .. ولكن أباه صاح فيه غاضبا :

- قبل يد الباشا يا ابن الكلب .

أسرع الى الباشا قبل يده ، لأن يشعر بملس شفتيه فوق يد الباشا الكثيفة الشعر .

الح على أبيه ، ليستأذن الباشا فى اخذ الجريدة التى بها اسم
أبوزيد ، أخذها بعد ذلك قرحاً . يريها لأمه ، تنظر الأم الى الكلمات
المرصوفة دون فهم شئ .
- ها هو اسم أخى .

قرأ لها ما فعله أبوزيد فى القبض على الخطين . وشهادته أمام
الحكمة .
رأى صورته فى الجريدة يوماً . أسرع بها من السراى الى البيت ،
صاح :

- صورة أبوزيد أخى فى الجريدة اليوم .
فرحت الأم كثيراً . رغم أنها لا تحبه . قالت :
- فخر لنا . لعله يصيبنا من الحب جانب .
لهذا . أصر أبو الوفا أن يكون ضابطاً مثله . أراد أن يسير فى نفس
الطريق الذى سار فيه أبوزيد .
.....

نام أبو الوفا ، كان يهذى كالمحموم ، « ملك » - هى الأخرى -
لم تكن قد نامت بالأمس لهذا ، لم تسمع هذيانه .
رأى أباه - خولى الزراعة فى أرض الباشا ، يمسك فلاحة .
والفلاح يرتعد .

- فى عرضك يا حسنين افندى . لم أخذ سوى عنقود واحد .
- عنقود واحد . مثل كرمة عنب . كله سرقة .
ذهب به الى الباشا :

- ضبطته يا حضرة الباشا يسرق العنب .
- والله يا باشا ، ما أخذت سوى عنقود .
- لو كل فلاح أخذ عنقوداً . ماذا سيتبقى لى .
ضربه الخفراء يومها . وحملوه فوق الحمار . والعنقود معلق فى
رقبته . طافوا به القرية كلها
.....

هب فرحاً ، مازالت ملك تفظ فى نومها :
- اللهم اجعله خيراً .
أى خير ، وهو ذاهب الى مكان جديد - بعد ساعات قلائل -

لا يعرف عنه شيئا .

دار في الشقة .

أبوه هو الذي أشار على أخيه أبوزيد بأن يلتحق بمدرسة الكونستبلات . ربما هذا ، لأنه يود أن يقويه - أمام الباشا عندما يصبح أبوزيد ضابطا . فقد كان الأب يفرح عندما يرى الباشا رآه أبو الوفا يوما يأكل ، كان يجلس فوق مقعده ، والطعام أمامه ، فوق مقعد آخر . والولد شحاته - خادمه - يجلس على الأرض بجواره .

هـب حسنين فزعا ، لم يعرف كيف يتصرف ، استمر في لوك الطعام . أم يحيى الباشا والطعام مازال في فمه . كان يخشى في الحالتين أن يفضب الباشا عليه .

أحسن أبو الوفا يوما بمدى مذابه .

صاح الباشا :

- بسم الله يا حسنين . استمر في أكلك .

ولكنه لم يستمر إلا بعد أن مثنى الباشا .

لم تنفعه مدرسة الكونستبلات . مات وهو ما زال يرتدى بدلته القديمة ، لم يتغير فيه شيء .

كسب أبوزيد كثيرا ، لكنه لم يرسل له مليما .

كان كطفل صغير ، يذهب الى المدرسة منضظرا .

نظرت ملك اليه وهو يربط « رابطة عنقه » دون أن تحدثه . قالت بصوت خافت جدا . لدرجة أنه لم يتبينه أول الامر :

- ستذهب بسيارتك ؟

- أجل .

عندما شرع في فتح الباب ليخرج . أمسكت يده . كانت كمن يقول له « اذهب معك » لو كان ممكنا لآخذها معه ، فحتميا كانت ستفيدة كثيرا .

الطريق طويل ، مقر عمله السابق كان وسط البلد . دقائق معدودة ويصل اليه من بيته .

العمل الجديد في « الطابية » مكان بعيد كان تابعا لمحافظة البحيرة منذ سنوات قلائل ، فهو أقرب اليها من الاسكندرية .

لم يقل له علوان باشا شيئاً عن الشركة ، سوى انها شركة
كيماويات .
الطريق مزدحم امام محطة النقراشي .
آه لو استطاع ان يعود ثانية . يعود الى ابن ؟ الى ملك ؟ وماذا
سيقول لها ؟
أيقول انه خاف من ان يواجه الموقف . رغم انه كان ضابطاً ناجحاً .
شديداً في معاملة المتهمين والجنود .

أقتربت السيارة من مبنى الشركة ، لافتة معلقة فوق المبنى
«العاملون يرجون سيادة اللواء أبو الوفا حسنين» .

أعلن موظف كان يقف فوق السطح انه قد أتى .
أسرع صالح مجاهد لاستقباله ، لم ينتظر عبده رشوان وإبراهيم
زيدان .

سار أبو الوفا حتى الباب الكبير ، فتح له خفير الباب وحياء
بحرارة .

لم يرد تحية الخفير ، يجب ان يكون شديدا معهم ، حتى
لا يفشل . ما دام لا يفهم في الكيماويات فليفهم في الادارة ، والادارة
ما هي الا الشدة والحزم .

أقترب صالح منه :
- أهلا سيادة اللواء . دكتور صالح مجاهد ، المدير الفني
للمصنع .

مد يده بثاقل . ثم سار وصالح خلفه .

- نورت المصنع .

أحسن بضيق وبرائحة عفنة ، رغم ان المصنع لم يبدأ العمل بعد .
أقترب عبده رشوان منه ، قال صالح :
- عبده رشوان المسئول المالي .

لم يمد يده ، أحس عبده بالاحراج ، فتراجع .

اجتمع العاملون في الردهة الكبيرة ، ردد أحدهم :
- الرجل لا يضعك أبدا .

جلس أبو الوفا فوق مقعده ، تذكر مكانه في مبنى الأمن والجنود
ينظرون اليه في فرع .

أحسن بأن يده اليمنى قد عاودها الارتعاش ، لمس بها زجاج
المكتب . ونظر اليها .. كانت الارتعاشة واضحة .

لم يحس بارتعاشها ، منذ أن عادت ملك اليه بالامس .
قال :

... قال لي علوان باشا ان شركتكم ما زالت تحت التأسيس .

قال ابراهيم زيدان مبتسما :

- البركة في سيادتك ...

قاطعه صارخا :

- لا تقاطعنى . اننى لم اكمل حديثى .

اكمل رغم انه كان يتمنى الا يكمل . يريد ان يهرب الى ملك :

- اريد ان اطلع على كل ملفات الشركة ، حتى اعرف ما حدث .

والا تصدر اية مكاتبات او شيكات دون ان اوقع عليها شخصا .

او ما صالح براسه :

- لقد قال لى علوان باشا انه سيحدث المسئولين عن كل

ما تحتاجون اليه .

احس صالح ان ابا الوفا لا يجد ما يقوله ، وانه يريد ان يشعرهم

بانه على علاقة بعلوان باشا حتى يرهبهم .

قال صالح وهو يقوم :

- سأحضر لك الملفات .

صرخ فيه :

- لا . لا اريد شيئا . تفضلوا الان . وعندما سأحتاج اليكم

سأصل بكم .

.....

قال عبده رشوان :

- انه لا يطاق .

ضحك ابراهيم قائلا :

- لقد صرخ بى بلا سبب .

احس صالح ان الموقف أسوأ مما كان يتوقع . فهو لن يستطيع

التفاهم مع رجل مثل هذا .

صالح عبده :

- صالح ، ماذا بك ؟

- هذا الرجل من الممكن ان يدمر كل شيء .

صاح ابراهيم ضاحكا :

- لا شك انه ليس عاديا .

- اننى قلق ، الاحوال فى البلد لا تشجع على اقامة مصانع

قطاع عام ، لهذا كنت اريد ان نبدأ العمل بسرعة .

قال عبده :

- لو كانوا بنوون فعل شيء مثل هذا . ماكانوا فكروا - اساسا

- فى اقامة المصنع .
- لا تنس أن الموضوع معد على الورق منذ اوائل عام ٧٠ .
- وقتها كان الامر مختلفا .
- قال ابراهيم :
- لا اظن أن هناك عاقلا يفكر فى الغاء مشروع هام كهذا . خاصة بعد أن أنفقت (الدولة) عليه مبالغ كبيرة .
- اكمل عبده :
- كما أنه سيوفر على الدولة عملة صعبة كثيرة ، تشتري بها المواد التى سينتجها المصنع .
- اننى أتوقع أشياء كثيرة غريبة فى هذه الايام .
- أول من حدثته فى هذا ، هى « صفية منصور » ، عندما زارها فى مجلة العهد السعيد ، قالت :
- الأمور لا تدعى للتفاؤل ، هناك محاولات لهدم كل ما فعلناه فى الستينيات . وأتوقع حدوث أشياء مجنونة . لن تخطر لك على بال .
- ضحك صالح وقتها :
- تبالغين كمادتك .
- لم تضحك ، قالت :
- حاولت أن اكذب نفسى ، ولكن ما حدث كان قاسيا .
- ماذا حدث ؟
- ليس مهما ما حدث . ولكن ما سيحدث ، ما رايتك فى زيارة نيكسون لمصر ؟
- خير ، عليها تحول علاقتنا بأمريكا الى الاحسن .
- ستتكلم كالجهلة .
- صفية . أرجوك . انا لست مستعدا لهذا الحوار .
- أمريكا لن تحل مشاكلنا . بل ستعقدنا .
- ومصلحتها ؟
- الموضوع طويل ، هيا الى البيت لاشرح لك ذلك .
- فى سيارتها الصغيرة ، قالت :
- بعد حرب ٦٧ ، كان اهتمام اسرائيل وأمريكا . ان تعملوا على الا باتى ثانية من يحارب ويواجههم .
- ضحك صالح ساخرا :
- دهمك من هذه الافكار . اننى أحس أن السياسة قد تؤدي بك

الى « المارستان » .

صاحت غاضبة :

- صالح . أنا أتكلم عن موضوع هام . فدعك من السخرية .

لم يكن مقتنعا بما تقول :

- لكى يحدث ما يريدانه ، كان لابد من القضاء على كل قيم ومبادئ هذا الشعب . كما حدث فى الاندلس .

- وكيف سيفعلان هذا ؟

- سيكونون طبقة تحمى مصالحهما ، طبقة تفتنى بسرعة غير عادية ، وبأية وسيلة ، مهما كانت الوسيلة سيئة . حتى تتبنى هذه الطبقة الجديدة ذلك . بعد أن تكون قد سيطرت على كل شيء : اختيار الحكام ، وضع القوانين .. الخ . طبقة تحس أن العداء لأمريكا واسرائيل عداء لها وللايينها .

أمسك صالح يدها :

- دمعك من هذا الحديث ، فلقد بدأت أخاف . أنك تنسين أنوثتك دائما . العمل فى الجريدة واهتمامك بالسياسة ، ينسيك أنوثتك . تنهدت :

- صالح . الموضوع الذى أحدثك فيه . أهم منى . ومن أنوثتى . ولن تحسه الآن .

.....

امتدت يد أبو الوفا الى التليفون . ارتعشت . وضعها فوق الزجاج . لا يجد ما يفعله .

اللوحات الفنية المعلقة على الحائط . تظل عليه فى عنف ، ولد صغير فى « الصورة » يخرج له لسانه .

أمسك سماعة التليفون :

« ملك » لعلها تدور فى الشقة الآن . تنظفها .

لقد نظفتها بالامس أمامه ، ماذا تراها تفعل الآن ؟

ملك تحبه . أجل . لقد كانت قلقة من أجله .

لا . انهن يخفين خياناتهن بهذه الطريقة . يفرطن فى ودهن حتى يشغلن أزواجهن عما يفعلن .

أجل . هو رجل مجرب . قبل أن يتزوج عاشر الكثيرات . بعضهن كن يفعلن هذا مع أزواجهن وكن يحكين له عن هذا ساخرات .

دفع الأوراق أمامه . وأسرع الى الباب . وقفت السكرتيرة فجأة . ركب سيارته وأسرع الى الشارع تابعتة العيون دهشة .

لم ير سوى الطريق امامه .
« منذ أن رأت أمه صورة أخيه أبوزيد فى الجريدة ، وهى تحلم
بأن تراه ضابطاً مثله — عندما يكبر فانت أجمل وأكبر منه حجماً —
رددت :

— ستكون خيراً منه .

حقاً ، كان أكثر وسامة ، وأكثر طولاً .

ولكن أباً زيد كان شيئاً آخر . تحدثت الصحف وقتذاك عن الدور
الذى لعبه فى القبض على زكى شكرى ، الضابط الهارب من مصر .
والذى اشترك فى الجيش التركى . ثم جاء الى مصر متخفياً . ليمد
نورى بك (قائد المقاومة ضد الاحتلال الإيطالى للليبيا) بالمعلومات
العسكرية .

سمع أبو الوفا بعض الفلاحين — فى البلدة — يقولون عن أخيه
انه يساعد الانجليز . لم يعبا بقولهم . حكى لأمه فرحا عن الخطة
التي رسمها ونفذها ليخدع زكى شكرى ومن معه .

.....

الطريق من الشركة الى العمورة ضيق ، بجانبه ترعة صغيرة ،
والسيارات تسير فى الاتجاهين وهو يسرع بسيارته ، سيفاجئ
ملك . انها مطمئنة لوجوده فى الشركة . ستقول لمشيقها « ان
يطمئن فليس من المعقول أن يترك الشركة فى أول يوم عمل بها » .
ظنت الملعونة انه صدق ما فعلته معه بالأمس . من ود واهتمام .
لو فكر قليلاً وقتها . لأدرك أنها تتصنع الحب والحنان ، فهى ما زالت
فى عز عمرها ، فكيف تحب شيخاً مثله .
أسرع الى الشقة . فتح الباب بمفتاحه ودخل متلصصاً . حتماً
سيجدهما فوق فراشه .

فتح الحجرة المغلقة فى عنف . لم يجد شيئاً . لعلهما أحسا به
وهو يصعد الدرج . أو وهو يركن السيارة أسفل العمارة . أجل .
فهى تعرف صوت موتور سيارته . قالت له هذا من قبل .
نظر تحت السرير . لم يجد شيئاً . خرج كالمجنون فى الردهة .
أحست ملك به . أتت من المطبخ :

— أبو الوفا . ماذا حدث ؟

حاول أن يخفى احساسه هذا . حاول أن يبتسم . أسرعت اليه .
لمست جسده . نظرت الى وجهه :

— حدث لك مكروه ؟

صاح بضيق :

— كلا .

أمينة

كان يقرأ الجزء الذى كتبه والده من مذكراته . مرت الساعات وهو ما زال يقرأ . كان يجمع قصاصات الورق المهترئة من الجرائد والمجلات التى كانت تصدر وقت حدوث المذكرات :
« الوطن ، وادى النيل ، السفور ، الاهالى ، المقطم وغيرها » .
وحرص والده أن يكتب بعد كل حادثة ، ما قالته الصحف والمجلات عنها . بل كان - فى بعض الاحيان - يكتب ما قالته الصحف والمجلات عن بعض الحوادث دون تعليق .

.....
دقت أمه الباب ، قالت :
- دمع من هذه المذكرات الان وتناول غداءك .
- لقد نسيت نفسى تماما وأنا أقرأ .
سار خلفها ، جلس أمام المائدة فى الصالة ، قالت :
- أمينة اتصلت بك .
أمينة ؟ كيف نسى أن يفكر فيها طيلة هذه المدة .

.....
فى كلية العلوم عرف أمينة . وجه آخر غير وجه صفية .
وجه شديد البياض ، مشرب بالاحمرار ، ولون شعرها يمتزج فيه اللونان : الاسود والاصفر . وعيناها واسعتان . زرقاوان .
غير صفية فى كل شيء . فصفية تتحدث فى السياسة والدين والمرأة والفن . وأمينة تكاد لا تتحدث .
كانت تلميذته عندما كان معيدا . يجلس على المنصة يتحدث ، ينظر اليها طويلا فى اعجاب شديد . فيحمر وجهها خجلا . وتنظر الى اسفل فى استحياء .
بعد أن تخرجت ، وكان - هو - قد حصل على الدكتوراه . عينت معيدة فى الكلية ، عملا معا فى قسم واحد .
تبسم فى حياء اذا ما قالت كلماتها القليلة .
انسته صفية « قابل صفية بعد ذلك كثيرا ، لم يحس برغبة

اليها . لم يعد يعجب بحديثها كان يقارن بينها وبين أمينة . انوثتها الطاغية ، ووجه صفيه الاقل جمالا .
حاول أن يحدث أمينة في أشياء أخرى غير العمل . كما كانت تفعل صفيه ، ولكن أمينة تبتسم في حياء . ويزداد وجهها احمرارا ثم تصمت .

فكر كثيرا في هذا ، أيمن أن يحب أمينة . رغم صحتها الدائم وحياتها الذي يشبه حياء الاطفال .

أراد أن يحدث صديقه « يسرى القاضي » الذي كان زميله في الكلية الحربية ، والضابط الان ، ولكنه خاف أن يتهمه بعدم الاتزان ، قال لنفسه « لعل اهتمامه بها - فعلا - عدم اتزان أدى اليه طرده من الكلية الحربية . فاحساسه بأن طرده غير مقنع ، جعله لا يهتم بأي شيء جاد » .

لم يتحدث مع أمينة في هذا قط . فربما كان حبه اياها عارضا سيزول اذا ما عاد لطبيعته . وجاء يسرى القاضي لزيارته في الكلية . وراها . قال :

- جميلة جدا زميلتك .

قال صالح محذرا :

- يسرى .

- لا تخف ، ان افعل شيئا . احتراماً لك وللعلم .

وانتهى هذا بأن تزوجها يسرى . ولديه منها الان ولد وبنت .. لا يدري كيف تم هذا . وأين كان وقتذاك .

فقد سأل يسرى عنها بعد أن رآها - وهما سائران في محطة الرمل :

- مخطوبة زميلتك التي رايتها في الصباح ؟

- كلا .

- ساخطها ، ما رأيك ؟

كل ما فعله - حينذاك - ان صمت بعض الوقت وبمدها قال شاردا :

للان . لم تحس انه احبها . وإنما لم يحسن يسرى بهذا .

يزورها الان . يضع الطفلين فوق ساقية . يقبلهما . تتابعه هي في حياء . لم تزل كما هي لم يتغير بها شيء . كانت قلقة على زوجها أيام حرب أكتوبر ١٩٧٣

ذهب صالح اليها بعد اتصالها به تليفونيا . اخذاً يهدئها . قالت :

- أخاف أن يحدث له مكروه .
 وعاد يسرى . وولدت توأميها « سامح وحنان » واضطرت أن
 تترك الكلية ، رغم أنها قطعت شوطا كبيرا في إجراء أبحاث وعينات
 لنيل شهادة الدكتوراه .
 قال صالح وقتها : حرام أن تضيعي كل ما تعبتي فيه .
 احمر وجهها حياء :
 - انهما أثنان يادكتور . اثنان .
 وضعت عيناتها في دولابها . وأخذت مفتاحه معها . وحصلت
 على إجازة عامين بدون أجر . على أن تعود لاستكمال دراستها .

 أمسك سماعة التليفون واتصل بها . يود الا يترك البيت حتى
 ينتهى من قراءة مذكرات أبيه . فلعل الاتصال التليفونى يفضى عن
 الذهاب إليها :
 - أهلا أمينة . كيف حالك ؟
 اتاه الصوت قلقلنا :
 - لا بد أن أراك يادكتور صالح .
 - حدث شيء ؟
 - أريد أن أراك . الموضوع هام جدا .
 لم ير زوجها - يسرى القاضى - منذ وقت طويل . زارها أكثر
 من مرة ، ولكن يسرى كان فى عمله بالجيش .
 جمع قصاصات الجرائد ووضعها داخل الدفتر الكبير المدون به
 المذكرات . ثم وضع الدفتر داخل المكتب .
 سار إليها . والمذكرات تطارده .

صفحات أخرى من مذكرات

« مجاهد عبد الراضى »

كنت أقوم بشراء شحنات الارز واجولة الدقيق بمعاونة على منصور وحمدي شعراوي ، الذى توطدت علاقته به بعد الانضمام للجمعية . وكنا نرسل الشحنات الى الفيشة وكوم الحنش وأبو المطامير . وترسل من هناك الى طرابلس تحت حماية ملاحظى البوليس التابعين للجمعية .

فقد كانت طرابلس تقوم بحرب من أجل استقلالها بمعاونة الاتراك . ضد الغزو الايطالى الذى تساعده انجلترا . وكانت قوات طرابلس بقيادة نوري بك التركى . . كنا نبعث اليهم بالضباط الاتراك والمصريين الذين يبغون مساعدتهم . ومن هؤلاء البكباشى زكى شكرى .

زكى شكرى

اتى زكى شكرى الى مصر من تركيا . وأتولته الجمعية فى عيادة الدكتور اسماعيل حسنى « عضو الجمعية » على أنه مريض مقيم بعيادته . وكنت أسافر اليه من الاسكندرية . كى أتسلم منه الرسائل التى يرسلها الى نوري بك - داخل محفظة من الجلد ، أحد مفتاحيها مع نوري بك والآخر مع زكى شكرى . وتقوم الجمعية بإرسالها الى طرابلس بمعرفة لها . وتتسلم كذلك الرسائل التى يرسلها نوري بك وأتسلمها ، وأذهب بها الى زكى شكرى فى العيادة . وذات يوم ، بينما كنت فى الورشة . أتت فتاة جميلة . انيقة فى ملابسها :

- السلام عليكم .

وقفت ، فلننتها عميلة . تبغى الاتفاق على صنع هماميل . او اى شئ من هذا القبيل .

- تحت أمرك .

- كيف حالك يامعلم مجاهد .

شعرت بالخوف . من أين عرفت استنى . أحسست أول الامر

انها موفدة على من قبل الشرطة التى كانت تطاردنى فى هذه الايام .
لكنها قالت كلمة السر التى بينى وبين زكى شكرى . قالت :
- انا شقيقة زكى شكرى .

عندما جلست امامى . احسست بالتشابه الشديد بينهما .
- زكى ارسلنى اليك .

- لا تقولى شيئا الآن .

اسرعت الى التليفون . حدثت حمدي شعراوى . الذى يسكن
البيت المواجه للورشة . قلت له ان يترك المدرسة حالا . ويأتى الى
الهاميل . لامر هام .

اسرعت الى البيت . عندما رايت حمدي يدخله .

دخلت الشقة وهى خلقى . وكان حمدي فى انتظارنا . قلت :

- آسف . لانى لم استصفك فى بيتى . فهذا المكان أكثر أمنا
وأكثر قربا .

كانت خجلى . تطبق اسنانها فوق شفتها السفلى « أومات براسها
دون قول » .

رجوت حمدي شعراوى أن يعد لها غداء ، فقد كانت قادمة توا
من محطة القطار . قالت :

- أخى زكى يريد أن يقابلك لامر هام .

- حدث شيء ؟

- لا أدرى ، ولكننى لاحظت عليه القلق هذه الايام .

- سأسافر اليه .

بعد أن ارتاحت ، ودعتها حتى الباب ، قلت :

- لن أستطيع أن أوصلك الى محطة القطار . حتى لا تشك
الشرطة بك .

.....

لقد وصف أبوه سنية ، شقيقة زكى شكرى بحب ..
الوجه المستدير ، العينان الواسعتان ، والبشرة الشديدة
البياض .

تذكر أمينة . لعل والده احب سنية هذه ، مثلما يحب هو أمينة
الان . العينان مازالتا تلعبان والشعر الذهبى ينسدل فوق الجبهة :
- أهلا دكتور صالح .

« معذرة فقد انشغلت عنك هذه الايام بالشركة ومذكرات أبى .
ظننت انى قد نسيتك ، ولكن ها انا أضعف عندما أراك » .

— تفضل .
نفس الابتسامة ، كانت سنية خجلى أيضا . لا شك أن إياه كان
رومانسيا مثله .

— كيف حال يسرى . لم أره منذ مدة طويلة .
أحتت رأسها ، يعرفها — هو — إذا ما غضبت .
كان يتابعها وهي تجلس أمامه فى المدرج . وأيضاً وهي معيدة
معه . ينظر الى عينيها فيعرف ان كانت سعيدة أم أن هناك
ما يشغلها .
ابتسم :

— ماذا حدث بينك وبين يسرى ؟
— يريد أن يترك الجيش .
— ماذا ؟ أن يحال الى المعاش الان ؟
— يريد أن يفتتح شركة استيراد وتصدير .
ضحك « كثرت شركات الاستيراد والتصدير الان ، كل عمارة
بها عدد كبير منها ، لن تكفى كل ماتنتجه مصر لتصديره . ولو
استوردوا — كلهم فعلا — فسوف يستوردون كل ما فى العالم من
بضائع »
— لا تحزنى . لعله غاضب من شيء فى الجيش الان . وغدا سينسى
ماقاله .
— كلا . انه جاد فيما يقول . ويقوم الان بالاتصالات لقبول
استقالته من الجيش .

... ..
— يسرى . لقد اشتركت فى حرب أكتوبر .
— أولا : نحن نعيش فى فترة سلام .
ثانيا : ما سأقوم به — الآن — أعظم ألف مرة مما فعلته فى حرب
أكتوبر . مصر الان فى حاجة الى التجارة واقامة المشاريع . الا تقرا
الجرائد الان .
— ربما ، ولكنك لا تفهم فى التجارة .
— بالعكس ، أستطيع أن اكسب أكثر مما تتوقع .
تدخلت أمينة على غير عادتها :
— يسرى . اننى لن أسمع لك بذلك .
— ماذا ؟؟
— من حقى أن أدافع عن نفسى ، وعن طفلى

- يا امينة ، افهمى . كل ما افعله من أجلك . ومن أجل الطفلين .
لا أستطيع أن أبقي في الجيش ، والناس من حولي يكسبون بشراة .
- يجب أن تعلم ، أمام الدكتور ، أن أصررت على ترك الجيش .
فسأذهب مع طفلى الى أبى . حاول صالح أن يخفف من حديثها ، لم
يستطع .

أسرعت الى حجرة أخرى . وظلت تبكى بصوت مرتفع .

- يسرى ...

صاح يسرى غاضبا ومقاطعا :

- لن أعود الى الجيش ، ولعلمك لقد قدمت استقالتى اليوم .

... ..

قابلته أمه بابتسامتها . أمه اسمها « سنية » .. أتكون هى
فتاة أبيه التى كان يتغزل فيها في مذكراته ؟

لم تحك أمه له عن هذا . كانت تكره السياسة . وتردد دائما :

- لم أر من السياسة الا العذاب والقلق .

كما أن ظروف طرده من الكلية الحربية جعلته لا يتحدث مع أبيه
في هذه الامور .

يفكر طوال الطريق في مذكرات أبيه ، وزكى شكرى . لقد تركه
قبل أن يذهب الى امينة . في عيادة الدكتور اسماعيل حسنى ،
أيمكن أن يكون زكى شكرى هذا خاله ؟!

... ..

سافر والده في قطار الحادية عشرة ، حتى يتجنب مراقبة رجال
الشرطة له . اذ أنه في ذلك الوقت يكون المارة قليلين . ويظهر بينهم
من يراقبه بوضوح .

وصل الى القاهرة في الصباح . كان البواب نائما ولايزال الدكتور
اسماعيل حسنى في بيته .

فتح زكى شكرى الباب . تهلل فرحا عندما رآه :

- ادخل مسرعا . اننى سعيد بلقائك .

- ماذا حدث ؟

- أرسل لى نورى بك مبلغا من المال : راتبى والمصاريف

النثرية و ..

- أجل . أجل .

- رأى الدكتور اسماعيل افتح الحقيبة . عرض على ان اسلمه
المبلغ ليحفظه في « خزانته » في بيته . ولما رفضت . تغيرت معاملته

لى . وبالامس قال لى ان استعد للانتقال لشقته الاخرى . فى «جزيرة
بدران» . متعللا بأن العيادة مراقبة من البوليس .
- وماذا تريد الان ؟

- ان تساعدنى لاسافر لليبيا .
- لماذا ؟ . من الممكن أن نجد لك مكانا اكثر امنا .
- اننى احس بالفدر من الدكتور اسماعيل . كما اننى فى حاجة
لمقابلة نورى بك . للاتفاق معه على بعض الامور .
- ما دمت مصرا على السفر . فسأرسلك الى عبد الله شوشان
بكم الاخضر .

- لا . أريدك أن توصلنى الى عزبتنا فى الفيوم . وهناك سأجد
من يعاوننى على السفر الى الواحات . حيث تمسك قوات نورى بك .
ودق جرس الباب بعد ساعة تقريبا . أسرع زكى ليفتحه . سمع
مجاهد صوت سنية تحدثه وهى قادمة :
- لقد قابلت المعلم مجاهد عبد الراضى .
ضحك قائلا :

- ها هو مجاهد أمامك .
راى مجاهد نفس الابتسامة الخجلى فوق شفثتها . لم يطل النظر
اليها . فقد كان مصرا على موقفه ، من أن يكون السفر عن طريق
الكوم الاخضر .
- الشيخ عبد الله شوشان زعيم قبيلة هناك . ومن رجالنا
المخلصين . ويعرف الطريق جيدا الى طرابلس . كما أنه سبق أن
ارسل عددا كبيرا من الضباط الى هناك .
ولكن سنية أكدت قول أخيها :
- لا . فى المزة هناك سيجد الكثيرين يساعدونه .
قلت :

- هناك خطورة من سفره الى الواحات . حيث ان القوات
الانجليزية متمركزة على الطريق وتقوم بتفتيش من تقابله .
عندما وجد مجاهد الاصرار منهما . اضطر الى أن يزعم لما يريدان .

.....
لقد جاء أبو الوفا الى الشركة فى وقت حساس ، كانوا قد انتهوا
من فترة الاعداد . وبدأت عملية تركيب الماكينات والمواسير الكبيرة
التي ستجلب ماء البحر ، القريب جدا من الشركة . لاستخراج المواد
الكيمياوية منها .

لو لم يأت أبو الوفا . لبدأوا العمل الآن .
لهذا ، ظل صالح ينتظره قلقا . فهو منذ أن ترك الشركة فجأة لم
يأت . وتوريد باقى المعدات متوقف على الشيكات التى يجب أن
يوقعها . وأيضا الخطابات التى يجب أن ترسل . قال ابراهيم زيدان
لصالح :

- من رأى أن تسافر الى رئيس المؤسسة وتشرح له الموقف .
لم يجبه صالح . أسرع الى حجرته الجديدة التى انتقل اليها .
منذ أن جاء أبو الوفا . جلس فوق المقعد الجلدى ، ومد ساقيه فى
استرخاء .

ماذا سيفعل رئيس المؤسسة وهو يعلم أن وزير الصناعة نفسه
ليس له سلطان على أبى الوفا .
دخل ابراهيم زيدان وعبدہ رشوان ، وجدا صالح شاردا . قال
عبدہ :

- يجب ان تفعل شيئا . المشروع سيضيع هكذا .
قال صالح :

- هاتوا الورق والشيكات سأوقعها كما كنت أفعل قبل أن يأتى .
نظروا اليه فى دهشة . ثم أسرعوا ليأتيا بالاوراق .

أبو زيد حسنين

أبو زيد حسنين - أخى - أستاذ للكثيرين من الضباط الكبار الان .
مازالوا يحكون عن خططه في القبض على المطاردين .
اتته الأوامر بأن هناك جمعية أنشئت في الفيوم باسم « جمعية
مساعدة ثوار طرابلس » ، وذلك لمساعدة نوري بك في الحرب ضد
الإيطاليين .

عرف أبو زيد - وقتها - أن رئيس هذه الجمعية شاب من عائلة
غنية جدا في الفيوم ، طالب حقوق ، اسمه أحمد طایل ، وأنه على
علاقة بزكى شكرى الضابط المصرى الهارب من الخدمة ، والذي
التحق بالجيش التركى ، ثم بقوات نوري بك .

وعد أحمد طایل بمساعدة زكى شكرى ، وتسهيل سفره الى
طرابلس ، ثم مساعدته بعد ذلك بارسال المؤن والذخائر اليه .
كان أخى أبو زيد ، يعمل مع انجرام ، مأمور الضبط .

ذهب أخى الى الفيوم ، وأدعى انه ضابط هارب من الخدمة
المصرية ، ويريد أن يسافر الى طرابلس لمعاونة الثوار هناك . وأخرج
بطاقة تثبت ذلك ، استخرجها له انجرام . وعرض أبوزيد على أحمد
طایل تدريب المقاتلين الذين يرغبون في الانضمام الى قوات طرابلس
وبدا فعلا في تدريبه على التصويب واستعمال القنابل . وبهر أحمد
طایل به وبمعلوماته عن البنادق والقنابل .

واتفقوا على الخطة ، أن يركب ثلاثتهم (زكى شكرى وأحمد طایل
وأبوزيد) ثلاثة من جياد أحمد طایل ، ويهربون بها عند الفجر الى
الواحات ، حيث تتمركز قوات نوري بك . فينضم زكى شكرى
وأبو زيد الى قوات طرابلس ، ويقابل أحمد طایل نوري بك . ليتفقا
على خطط المساعدة ، ثم يعود ثانياً - وحده - الى الفيوم .

أقام أحمد طایل حفلا ، في الليلة السابقة للسفر ، ابتهاجا بهذه
المناسبة ، حضره كل أعضاء الجمعية (اوضح بعد التحقيق ، أن
أبا زيد ، هو صاحب فكرة اقامة الحفل كى يتعرف على كل أعضاء
الجمعية ، لتسهيل امر القبض عليهم) .

وعند الفجر ، ودعهم باقى الأعضاء ، وجرت بهم الجياد حتى حدود

الفيوم ، وراوا طائرة تحلق في الجو ، ثم تهبط قليلا ، وتعلو ثانية »
قال أبو زيد :

— لعلها مرسله من قبل نوري بك .
وأكد أحمد طایل على قوله ، وتوقفوا عن السير — قال أبو زيد :
— فلنشعل نارا حتى ترانا الطائرة .
واشعلوا النار ، منتظرين أن تراهم الطائرة فتتهبط اليهم .
وإذا بسيارات الشرطة تحيط بهم من كل اتجاه .
ونشرت الصحف صورة أبو زيد ، وكتبوا عما فعله من خداع
أحمد طایل وزكى شكرى ، ثم صورته يوم أن وقف أمام القضاء يحكى
لهم عما حدث .

.....
تنام « ملك » بجواره كملك . الشعر الأبيض يغطى وجهه . لم
يحلق لحيته منذ يومين قضاها في البيت .
أتاه بعد لحظات أبوه الخولى وشقيقه أبو زيد . أطبقا فوق
صدره .

أبو زيد صار (أبو زيد باشا) بعد ذلك . وبعد أن كان تابعا لانجرام ،
مامور الضبط . صار شريكا له ، فى رسم الخطط والقبض على
المطاردین .

أتاه يبدلته السوداء ، وطربوشه الأحمر بلون الدم ، وحذائه
الطويل الذى يصل لأسفل الركبتين . وأبوه بمنديله الأبيض المتسخ ،
تحت الطربوش المتهرى .

تقلب بجوار ملك ، طارده وجه أمه بعد ذلك ، وهى صبية ، تضع
الكحل فى عينيها ، وتزيل الشعر الزائد فى الحاجبين . أغرت الخولى
المجوز حتى تزوجها على أم أبو زيد .

ظنت أمه أنه قادر على أن يكون مثل أبو زيد ، تحدث عنه الجرائد ،
وتذكر مغامراته .

زغردت عندما قبلوه فى مدرسة الكونستبلات . كان يرسل اليها
مبلفا من المال . ولكنه ظل بعيدا . خاصة فى أيامها الأخيرة — كان
ينتقل من محافظة إلى أخرى .
أرسلت له خطابا :

— لا تريد تقودك . ولكن نريدك أنت .
الى أن جاء التلغراف من رجل فى القرية ، بأنها قد ماتت .
حمل الكفن وساقوا .

اطبق الثلاثة فوق صدره (أبوزيد وأبوه وأمه) أراد أن يصرخ :
راى الفلاح الذى حملوه فوق الحمار ، وعلقوا عنقود العنب فى
رقيبته ، وزوجته وبناته خلفه يبكين ، وأبوه الخولى يبرم شاربيه
فرحا لضبطه .

اسماعيل ولده جاءه ، كان فى اول الامر يقف طويلا نحيفا .
يبتسم ، شاربه خفيف ، لم يحلقه قط . وعيناه نافذتان تنفذان
فى ضلوعه .

شفتاه تحاولان التحرك فوق الفراش . لم يتمكن من التحدث ،
مات قبل ان يقول شيئا .

مات متأثرا باحراج أبى الوفا له . أم من السرعة المجنونة ؟
لم يستطع أبو الوفا أن يستيقظ . اضطر الى أن يرمى نفسه من
فوق السرير ، حتى يهرب من الكابوس . هبت ملك فزعة :

— بسم الله الرحمن الرحيم ، ماذا حدث ؟
أضأت اللبة الكبيرة ، رآته يتوجع من آلام ظهره . هبطت اليه :
— ماذا حدث يا « أبو الوفا » ؟

— كابوس .

نامت ثانية ، لم يعد هذا يثيرها ، فلقد اعتادت هذا منه .
قام من مكانه ، جلس فوق السرير ، ثم اشعل سيجارة .

.. .. .

أغمض عينيه عندما وصل الى باب الشركة . كاد يصطدم بالجدار ،
التفوا حول سيارته ، مدوا أيديهم :

— أهلا يا بك . حمدا لله على سلامتك .

لا يذكر أحدا منهم — حتى الثلاثة الذين اجتمع بهم ، وأحس أنهم
مهمون بالشركة ، نسى أشكالهم الآن .

اقترب من حجرته ، ظهره ما زال يؤلمه من اثر وقوعه من فوق
السرير ..

اتصلت سكرتيرته بصالح :

— لقد وصل يا دكتور صالح .

دخل صالح الحجرة والاوراق معه :

— صباح الخير .

نظر شذرا : أهلا .

حمدا لله على سلامتك .

— أظنك ...

- دكتور صالح مجاهد .
- طبيب ؟
- ضحك صالح قائلا :
- دكتوراه فى الكيمياء الصناعية .
- صاح ابو الوفا فى ضيق :
- أجل . أجل .
- اخرج صالح الاوراق ، وضمها امامه :
- سيادتك لم تات . اضطرت ان اوقع الشيكات والخطابات ..
- لم يكمل صالح . قاطعه هو :
- اجننت ، اتوقع شيكات وخطابات دون ان اراها .
- يا حضرة ...
- لن ادع هذا يمر بسهولة .
- يا بك . المشروع كاد يتوقف ، بضاعة مهمة ، يجب ان نتسلمها
- لنبدأ العمل .
- يتوقف المشروع ، ولكن لا توقع اوراقا دون ان اراها .
- امسك بالتليفون .
- سأتصل بالنيابة .
- يا حضرة اللواء . الموضوع لا يستحق كل هذا .
- دخل عبده رشوان و ابراهيم زيدان :
- اهلا سعادة البك .
- ماذا تريدان ؟
- قال ابراهيم :
- ورق متعطل . تريد سيادتك ان توقعه .
- اشار اليهما بان يجلسا :
- تصورا . الأستاذ يوقع على اوراق دون ان ينتظرنى .
- اراد صالح ان يضحك . فقد كان ابو الوفا يتصرف وكأنه فى
- مسرحية كوميدية . اخذ يحرك يديه فى عصبية ، والرذاذ يتناثر
- من فمه .
- قال عبده :
- لقد انتظرناك .
- حتى لو لم ات ابدأ . لا تتصرفوا دون الرجوع الى . القرار
- الوزارى اعطانى الصلاحية للتوقيع باسم الشركة .
- صمتوا جميعا ، ما زال يمسك بسماعة التليفون ، ماذا يفعل .

أنه لا يريد أن يوقع على شيء . بل لا يريد أن يأتى اليهم أبدا .
ولكنه لا يجد وسيلة للشجار معهم . . ماذا سيقول للنيابة . أو
الى أية جهة أخرى ؟!
بعد دقائق قال :

— سأتركه هذه المرة ، بشرط ألا يعود ثانية الى هذا .
ضحك صالح عندما خرج ، ثم أحس برغبة فى البكاء .

سنية شكرى

سأل أمه :

— لماذا لم تحك لى عن خالى « زكى شكرى » ؟

بكت الأم :

— قلت لأبيك لا يكتب عن هذا ، لا أريد أن أشاركك أنت واخوتك

فى هذا العذاب .

حكّت له عما حدث بعد ذلك .

« بعد القبض على أخيها فى اليوم زارهم مجاهد فى العزبة ، قابل أمها وشقيقها وصفى ، كان واضحا للجميع أن مجاهد يهتم بها ثم علمت من أخيها وصفى — بعد ذلك — أن مجاهد قد قبض عليه ، وعلى كل من له صلة بمساعدة ثوار طرابلس ، أخذه جنديان ، وهو مكبل بالحديد الى الفيوم .

— استدعاه — هناك المحقق — « مفتش الداخلية » للتحقيق معه .

أجلسه أمامه . سأله عن اسمه وعنوانه ، وصناعته وبلده . الى

آخر هذه الاسئلة التقليدية .

كان فى القاعة — غير المحقق وكاتبه — رجلان . أحدهما انجليزى ،

والآخر مصرى . يرتدى بدلة وطربوشا .

وجه المحقق اليه التهم الابية :

● مساعدة الاعداء فى وقت الحرب .

● تهريب المؤن والدخائر والضباط الى طرابلس .

قال مجاهد للمحقق :

— قبل أن أجيب عن هاتين التهمتين ، أريد أن أعرف من هذين

الرجلين ؟

زمجر الانجليزى ، وصاح الآخر :

— ما شأنك أنت ؟

أجاب المحقق :

— أنه مستر انجرام مأمور الضبط ، ومساعدته أبوزيد حسنين .

تذكر مجاهد دور الأخير فى خداع زكى شكرى وأحمد طایل والقبض

عليهما ..

قال :

— هذه تهم ، لو ثبت صحتها ، قد تؤدي إلى هوى . أو سجنى مدى الحياة . لهذا ، أرجو أن يخرجنا . فقد يؤثرا على التحقيق بأن بعدا لى شهود اثبات . من خلال المعلومات التى سيسمعاها منى . وقف المحقق . وتحدث معهما بالانجليزية . صاح أبوزيد وسبب . واخذ ينظر اليه غاضبا

ثم نظر انجرام الى أبى زيد وقال :

— هيا

خرجنا ، وأبوزيد ينظر اليه متوعدا .
بعد أن خرجنا ، طلب المحقق من كاتبه بعض الأوراق من الحجرة الأخرى ، ثم قال فرحا :

— أنا معجب بشجاعتك . لقد أرحمتنى منكما . ياه . انهمسا كابوس .

سأله عن سبب ذهابه الى الفيوم . وعلاقته بزكى شكرى .

قال :

— أنا خطيب اخته .

— ما اسمها ؟

— سنية .

قال هذا مرتبكا ، ودون تفكير .

وسأله المحقق عن عبد الله شوشان ، الذى يسهل له نقل المؤن والذخائر والأشخاص الى طرابلس ، قال :

— هو عميل ، أصنع له هياويل السواقى .

كتب المحقق . بحيث يبعد التهمة عنه .

.....

علمت سنية فى الفيوم . بما قاله مجاهد — فى التحقيق — من أنها خطيبته .

وقد كانت أمها وباقى الأسرة متعاطفين معه .

أخذوا سنية الى قسم الشرطة ، سألها المحقق ، ان كان مجاهد فطيبها أم لا .

قالت : أجل .

بعد أن قضى مجاهد فى السجن عدة شهور ، جاء اليهم فى

فيوم .

وكانت الأسرة كلها حزينة للقبض على زكى شكرى . ورغم هذا

حاملوه على انه خطيب حقيقى لسنية .

.....

جاءت أمينة وطفلاها ، قبلتها أم صالح .
أحسن صالح أن هناك أشياء جديدة قد حدثت بينها وبين زوجها

يسرى .

أسرع الطفلان اليه ، جلسا فوق ركبتيه .
قالت :

- لقد تركت البيت وذهبت الى أمى .

- أنت عاقلة يا أمينة . حتى لو كان يسرى مخطئا فيجب أن

تبقى بجانبه حتى يعود لورثته

- لا يادكتور . يسرى استأجر الشقة في المنشية . واشترك مع

ثلاثة من زملائه الضباط . وأسسوا شركة استيراد وتصدير .

- والآن قدما استقالتيهما أيضا ؟

- أجل . وقبلت من الثلاثة .

قبل الطفلين :

- من أجل الطفلين يا أمينة .

صاحت مقاطعة :

- من أجلهما ، سأتركه ، لعله يفيق بعد أن اترك له البيت .

دخلت الام بالشراب ، حاولت أمينة أن تبسم عندما رأتها .

سألتها الام عن يسرى .

قالت :

- بخير .

بعد أن خرجت ، قالت :

- لقد جئت لآخبرك اننى سأعود الى الكلية ثانية ، ليس هناك

داع للبقاء في البيت . الطفلان سترعاهما أمى .

- خير ما فعلت ، أنت في حاجة - في هذه الايام - لأن تنشغلي

بالعمل . وأرجو أن تعودى الى أبحاثك وعينائك . لتكملى الرسالة

وتحصلى على الدكتوراه .

١٩١٤/١٢/٢٥

قامت الحرب العالمية الاولى ، بسبب قتل ولي عهد النمسا .
ودخلت بريطانيا الحرب ضد ألمانيا ، وتركيا انضمت اليها .
وكان الخديو عباس حلمي يزور الاستانة في ذلك الوقت . وكان
ايضا معلوما لبريطانيا انه يميل للاتراك ، ويكره الانجليز .
لهذا ، اتخذ مجلس البلاط البريطاني ، بحضور الملك يوم ١٩
نوفمبر ١٩١٤ قرارا ، يفرض الحماية على مصر ، وعزل عباس حلمي ،
وتعيين حسين كامل - عمه - سلطانا على مصر ، وقبل حسين
كامل هذا ، وكان اول امر أصدره ، هو أمره الى حسين رشدي
باشا بتأليف الوزارة ، بتاريخ ١٩ ديسمبر ١٩١٤ . وكان حسين
رشدي قائمقام الخديو عباس في هذا الوقت ، ورئيس وزارته .

.. .. .

وأدلى حسين كامل بتصريح الى مراسل التيمس بالقاهرة يوم
١٩١٤/١٢/٢٢ ، هذا نصه :

« اننا لا نستطيع أن نفى بريطانيا حقها من الشكر على ما فعلته
لمصر . وأنتي موقن من زمان طويل ، بأن مصر وسائر الاقطار الشرقية
في احتياج الى الاوربيين »

.. .. .

وأعلن حسين رشدي يوم ١٩١٤/١٢/٢٤ لجريدة الوطن :
« ان مصر اذا فرض ، ولم تكن حاصلة على مساعدة ، أو معونة
انجلترا ، لوجب أن تفتش لها عن دولة قوية ، وصديقة - مثلها -
« أي انجلترا » لتكون عوناً لها » .

المؤلف

حمدي شعراوي

قررت الجمعية اغتيال كل من السلطان حسين ، وحسين رشدي باشا . وتم عقد العديد من الاجتماعات في القاهرة والاسكندرية لوضع الخطة لاغتيالهما - واختيار الزمان والمكان لهذا . صنعت اللجنة الرئيسية بالاسكندرية ، قنابل من الديناميت ، وحششتها بحوالي ثلاثمائة قطعة من حديد كبس القطن ، بعد أن جربت انفجارها بالصحراء ، أمام بلدة واقد « بلدة أحد أعضاء الجمعية » . وعرض أكثر من واحد ، من أعضاء الجمعية ، أن يقوم بتنفيذ الاعدام فيهما . ولكن اللجنة اختارت حمدي شعراوي ، وهو صعيدى من قرية « أبا الوقف » التابعة لمركز مغاغة بالصعيد . ويعمل مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية . ويسكن في البيت المواجه لورشتى بالهماميل .

الاحد ٢٣ يونيو ١٩١٥

ارسلت اللجنة الرئيسية بالقاهرة « أحمد صابر » عضو اللجنة ، ليستأجر بيتا بشارع رأس التين ، ستمر من أمامه عربة السلطان حسين كامل ، وهو في طريقه من سراى رأس التين ، الى المسجد لصلاة الجمعة .

تم اختيار المنزل رقم ٩٩ ، لانه ليس به سكان في الوقت الحالى . . كما أن الشارع يضيق أمامه . اذ أنه يواجه ضريح سيدي يوسف الجمرانى الذى يشغل جزءا من الشارع ، اذ لابد أن تمر عربة السلطان من أمام نافذة هذا البيت .

الثلاثاء ٢٥ يونيو ١٩١٥

بحوار باب البيت المطلق دائما ، دكان لحلاق ينوب عن أصحابه في تأجيره لساكنتيه .

اقترب أحمد صابر من دكان الحلاق .

- السلام عليكم .

كان الحلاق ينحنى على رأس زبون يحلقها :

- السلام عليكم ورحمة الله .

- لقد سألت عن أصحاب البيت ، فقالوا انك تنوب عنهم فى

تأجيره .

هلل الحلاق فرحا ، فاذا ما تم الاتفاق على تأجير البيت .

سيكون له عمولته من أصحاب البيت ، وربما من المستأجر أيضا :
— أهلا . أهلا .
اتفقا على القيمة . وأخبره أحمد صابر أنه يستأجر البيت لصديق
اسمه « محمود حلمي » سيأتي من السفر بعد عدة أيام ..

دخل حمدي شعراوي البيت ، رآه الحلاق . خرج من دكانه
وهو يمسك القصب :
سيأتي من السفر بعد عدة أيام .
— أهلا محمود بك .
— أهلا بك .
المنزل متسخ . ودرجاته متآكلة . بعيدة عن باب البيت .
دخل حمدي الحجرة المظلة على الشارع . ليس بها أثاث . بلاطها
مغطى بالتراب ..
مسح يمينه حافة النافذة . دخل الحلاق خلفه :
— معذرة . فالبيت متسخ ، سأتى بزوجتي وابنتي لتنظفاه
لك .

— أشكرك . سأتى بمن ينظفه .
استأذنه في مقعد من دكانه . أسرع الحلاق فرحا واتى بالمقعد .
صعد حمدي فوق المقعد ، جلس على حالة النافذة ، ضريح
سيدي يوسف الجمراني أمامه بابه مفلق ، يبدو من منظره أنه لا يزوره
أحد . يرددون أشاعات حوله ، بأن أحد المهندسين أراد أن ينقل
جثمانه من مكانه ، وينقل الضريح ، حتى لا يسد الشارع . لكن يد
المهندس شلت في وقتها ، ولم تستطع الحركة . إلا بعد أن أقر بلذنه
ورجع عن قراره (١)

الأربعاء ٧ يوليو ١٩١٥

لا بد أن يعد حمدي كل شيء . حتى إذا ما جاء يوم الجمعة يكون
جاهزا .. لقد تدرب على أشغال القبيلة ، بأن يشعل فحمًا في
مدفأة . ويضع الفتيل فوق الفحم الأحمر ثم يسرع بالقائها .
ترك الحجرة ، صعد الدرجات المتآكلة . سار فوق السطح .

(١) تردد هذه القصة عن امرأة أخرى مشابهة لسيدي يوسف الجمراني ،
كفريخ سيدي أبي الدرداء بالاسكندرية

كانت هناك فتاة سمراء تنظر من سطح البيت المجاور . والذي لا يفصل بينهما سوى جدار قصير .

عندما رآته أسرعته إلى حجرتها ، فوق السطوح .
اهتم حمدي بالبيت الذي به الفتاة السمراء . نظر إليه جيدا .
فبابه يطل على الشارع الخلفي ويمكن استخدامه عندما يحاول الهروب ، بعد لقاء القنبلة .
عندما هبط ، أنهى الحلاق ، أراد حمدي أن يعطيه مقعده . ولكنه أصر أن يبقى عنده لحين يأتيه أخته .
ترك المقعد وأغلق الباب وخرج .

•••••
يعود حمدي إلى الهاميل . ينظر إلى ورشة مجاهد . يراه يجلس فوق مكتبه . يقرب منه ينظر كل منهما إلى الآخر . انهما يتقابلان كثيرا بعيدا عن الهاميل . يجلسان في قهوة البراميد بالمنشية . ولكن هنا - في الحي - لا يتحدثان ، حتى لا يشك البوليس فيهما . .
وإذا ماصعد مجاهد إلى شقة حمدي ، يجري إلى البيت ، ويدخله متلصصا .

ترك حمدي شعراوى قريته أبا الوقف ، وذهب إلى الاسكندرية ، سبقه إليها خاله الذي يعمل ساعيا بإدارة المعارف العمومية . بقي لدى خاله مدة شهور بلا عمل . حتى حدث خاله المدير الذي يجلس أمام باب ، في أمر ابن أخته . فعينه المدير مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية .
في أول إجازة له من المدرسة . ذهب إلى « أبا الوقف » . قالت أمه :

« خالك له أفضل عليك . ولكي ترد جميله لابد أن تتزوج ابنته خضرة . »

لم يتحمس لهذا ، ولكنه لم يعارض . انه حقا لم يخطر الزواج له على بال ، لكن لا بأس فخضرة ليست دمية .
لكن بعد انضمامه للجمعية ، حمد ربنا ، لأنه لم يحدث خاله في أمر الزواج . فقد كان يحلم بعمل كبير ، لهذا ، أصر أن يكون هو قاتل السلطان حسين ، وحسين رشدي باشا . . لم يسبق له عمل مثل هذا . ولكنه سينجح . فالعربة لابد أن تمر من تحت النافذة .
كما أنه جرب لقاء القنبلة ، وتمت بنجاح .
تذكر والده ، لقد أرسل له منذ أيام المبلغ الذي يرسله له شهريا .
له :

— ماذا ستفعل يا ابى ، لو لم أرسل لك هذا المبلغ بعد ذلك .
ماذا ستفعل لو مت ؟

أشعل الوابور فوق المائدة القريبة من النافذة ..

انه لم ير الذى استأجر البيت ، ولا يعرف اسمه ، ولكنه يعلم
انه سيدعى أن اسمه « محمود حلمى » للتصويه .

تذكر الحلاق وأصراره انه محمود بك . كان يود أن يسافر الى
بلدته ليقابل أمه وأباه وأخواته الخمسة ، فربما لا يلقاهم ثانية .

والده يعمل أجيرا فى الأرض . تزوج أمه ، رغم أنها ليست جميلة ،
من أجل قيراط ونصف .. يزرعها الآن . ويفخر بأنه يمتلك قيراطا
ونصفا .

لم يتبق من الايام سوى الخميس ، وقريته بعيدة . تحتاج ليوم
سفر كامل .

الخميس ٨ يوليو ١٩١٥

دخل المنزل ثانية . كانت معه حقيبة جلدية صغيرة بها ثلاث قنابل
ومدقاة ، ولقافة صغيرة بها الفحم .

كان دكان الحلاق مغلقا . لعله ذهب ليحلق لزبون فى بيته . نفذ
التراب عن مقعد الحلاق ووضع الحقيبة فوقه . ثم أغلق الحجره
بالمفتاح . ودار فى البيت ، ثم صعد لأعلى ، رأى الفتاة التى رآها
بالأمس . تضع طستاً فوق السطح . وتفصل بعض الملابس . عندما
رأته هبت واقفة . وأسرعت الى حجرتها .
ابتسم ودار فوق السطح .

.. .. .

زار خاله فى المساء ، نظرت زوجة خاله الى ابنتها خضرة . فهمت
البيت متصدها ، أسرعت الى الحجره الاخرى ، خلعت جلبابها القديم
المتسخ ، وارتدت جلبابا جديدا ، ومشطت شعرها . ونظرت الى
المرآة الصغيرة المعلقة بجوار السرير . وعادت ثانية الى مكانها ، دون
أن تنظر الى حمدي .

سأله خاله عن المدرسه . وعن الناظر والمدرسين وقال له :

— لو تعبك أحدهم ، قل لى ، كلهم يحتاجون الى البك المدير الذى
أجلس أمام بابہ .

قدمت خضرة له الشاي ، وأقسم خاله أن يتناول العشاء لديهم .

ولكنه اعتذر . كان متوترا . لا يستطيع أن يستقر في مكان . كما انه أراد أن ينام مبكرا .

عندما خرج من بيت خاله ، أخرج علبة دخانه ، لف سيجارة . فهو لا يستطيع أن يدخن أمام خاله . عندما كان يعيش معهم ، كان خاله يذهب الى الحجرة الاخرى ، بعد الاكل ، ليدع له الفرصة ليدخن . وكان حمدي يضطر - أحيانا - أن يدخل دورة المياه ليدخن فيها ، اذا ما اطال خاله المكوث في الحجرة .

الجمعة ٩ يوليو ١٩١٥

استيقظ حمدي مبكرا ، تناول سيجارة مع كوب شاي أسود ، لم يجد رغبة في تناول الطعام .

ارتدى ملابسه وخرج ، سار حتى شارع الخديو . استقل تراما حتى شارع رأس التين .

دكان الحلاق مغلق ، لعله يتأخر في فتحه يوم الجمعة . جلس فوق المقعد ، أخرج القنابل الثلاث ثم أفرغ الفحم في المدفأة الفخارية . ذهب الى آخر الحجرة . بعيدا عن القنابل واشعل عود ثقاب ، ليشعل الفحم . لكن الفحم لم يشتعل . اشعل عود ثقاب آخر . وايضا لم يشتعل .

الفحم في حاجة الى كيوسين . لن يشتعل بغيره . خرج من الحجرة ، أخرج بالمدفأة الفخارية ، ليسال عن كيوسين ؟ انه لا يعرف في الشارع سوى الحلاق . والحلاق ليس موجودا ، كما انه لا يصح أن يخرج بالمدفأة حتى لا يثير انتباه الناس .

جلس فوق المقعد ، زفر بضيق . ثم اشعل سيجارة . « لماذا لا يشتعل القنبلة بالسيجارة . اجل . السيجارة المشتعلة تعمل عمل الفحم الاحمر .

أحس برغبة في شرب كوب شاي ، لقد تعود شرب الشاي منذ صغره . أمه كانت تضعه له وهو طفل ، عندما قطمته .

فكر في الخروج الى الشارع . يجلس في المقهى . يشرب شايًا ويشتري كيوسينا ، ولكنه أحس بسخافة فكرته ، فلو خرج سيخس به الناس .

ظل ينظر الى الشارع من خلف شيش النافذة المظلمة ، تابع ضريح سيدي يوسف الجمراني ، ظلاؤه تساقط ، والمياه الضحلة تحيط به . ماذا سيفعل بعد أن يلقى بالقنبلة ، يستطيع الهرب ؟ ليس مهما

ما سيحدث بعد ذلك ، المهم أن يموت السلطان حسين ورئيس وزرائه .
كما أن الهرب ليس صعبا ، فكل شيء مجهز بعناية .

عند الانتهاء من خطبة الجمعة ، فتح حمدي النافذة ، ثم جلس
فوق حافتها . ووضع قدميه فوق المقعد . لم يلتفت اليه أحد .
فالنساء مشغولات بطهو الطعام لأزواجهن . والأزواج في المساجد
يؤدون الصلاة .

وسمع جلبة ، وجنودا يسرعون :

— السلطان .. عربية السلطان آتية .

اشعل سيجارته ، سحب نفسين منها ، وحمل القنبلة ، اخفاها
تحت حافة النافذة . ثم دس السيجارة المشتعلة في فنيها . عندما
أصبحت العربية تحت النافذة تماما . القى القنبلة ، وألقى السيجارة
فوق أرض الحجرة . وأسرع الى الدرجات المتأكلة . كادت درجة
متأكلة توقعه وهو يسرع .

لأول مرة لا يجد الفتاة التي تسكن السطح . أسرع وقفز الجدار
القصر . فتحت الفتاة حجرة فزعة عندما ارتطم بالأرض .
دهشت لرؤيته .

كان متوترا . لم تدخل حجرة ككل مرة . بل ظلت تتابعه . أراد
أن يحبها ، ولكنه لم يستطع . أسرع الى الدرج . سمع في الدور
الأرضي امرأة تتحدث مع زوجها بصوت مرتفع . فقد كان صوت
الوابور عاليا أيضا .

أسرع الى الشارع الضيق . لا بدري ان كانت القنبلة انفجرت
أم لا . فهو لم يسمع انفجارها . لكن يمكن أن تنفجر دون أن
يسمعا . فقد كان مشغولا بمسألة هروبه .

ظل يسير حتى شارع « التويج » ثم استقل عربية حنطور حتى
بيته في « الهماميل » .

في العربية أغمض عينيه . نظر اليه السائق ، ظنه نائما .

الشك مرة أخرى

عاد أبو الوفا ، فتح باب الشقة ، أسرع الى « ملك » .. دار
فى الشقة ، لم يجدها . ماذا حدث ؟ .. أين ذهبت ؟
أحس بأعياء ، جلس . ذلك دليل لا يقبل الشك فى خيانتها .
انها لم تكن تظن انه سيعود فى هذا الوقت .
سمع صوت أقدام تصعد الدرج . أسرع الى الباب فتحه .
وجدها تصعد الدرج بالملابس التى ترتديها فى البيت . (البنطلون
والبلوزة القديمة ، وشيشبه المنزل) وتعقد شعرها بإشارب .
صاح بها ، وهى بعيدة عنه :

— أين كنت ؟

ابتسمت قائلة :

— لقد طلبتنى جيهان جارتنا . التى تسكن ...

لم تكمل :

— أظنننى أبله . مع من كنت ، أجيبى .

أسرعت اليه :

— أبو الوفا . أدخل شقتنا ، وقل ما تشاء ، فلا يصح .

— لن تكون شقتك من الآن . سأطردك منها ، اذهبى .

— أرجوك . الجيران يسمعون قولك .

— انبى أقصد هذا . حتى يعلموا ، ويعرفوا حقيقتك .

بكت :

— لا أريد أن أدخل . ولكن كف عن قولك هذا . اعطنى

ما أستطيع به الذهاب الى أخى .

— لن أعطيك شيئاً . اذهبى اليه هكذا .

ثم أغلق باب الشقة خلفه .

صعدت جيهان اليها ، قالت :

— تعالى الى شقتى الآن .

بكت :

— انه ما عاد يطلق .

سارت معها . أحست بوجوه تطل من خلف شراعات الابواب
الموارية .

قلت جيهان :

- نسى لدى ساعة أو أكثر . حتى يهدأ .
- لا . سأذهب الى أخى . لن أستطيع احتمالته بعد ذلك .
ارتدت ملك ملابسى من ملابس جيهان . وذهبت الى بيت أخيها .
قال لها محمود :

- قلت لك ، لم تصدقيني .
- كنت أظن انى سأستطيع ان أرجعه الى ما كان عليه .
- الكل يعلم ان موت ابنه دمره .
كثيرون قد ماتت أولادهم . ولم يحدث لهم ما حدث لآبى الوفا .

.. ..

بعد ان أغلق أبو الوفا الباب خلفها . ارتدى فوق المقعد . ما زال
فى ملابسها التى أتى بها من الخارج . لم يحس برغبة فى البكاء .
انما الدموع فاجأته ، دون سابق انذار ..
هبطت ملك الدرجات بملابس البيت . أتستطيع أن تذهب الى
بيت أخيها هكذا ؟!

لا . لعلها ستعود ثانية الى عشيقها .. انه فى العمارة لا شك .
لا بد أن يعرف من هو .
عندما عرض نفسه على طبيب نفسانى . سألته عن هذا . قال
الطبيب :

- قل لى ، هل كانت لك علاقات جنسية مشبوهة قبل الزواج ؟
- أجل .
- لعلها . أحد العوامل .

أجل . لعلها صديقة ، وكانت حقا لدى جيهان جارتها . لقد
أهانها أمام كل سكان العمارة . لن نسى لى هذا .
وربما لن تأتى الى بيته ثانية . أيعقل هذا . أستطيع ان يبقئ
فى هذا المكان دونها .

.. ..

- ملك . أبو الوفا فى الخارج يريدك ، وأنا أعرف حالته
أكثر منك .
- لن أكون عالة عليك . سأعود اليه . وسأتركه بعد ان أكمل
تعليمى .

- لا تهتمى بشئ . بيتى مفتوح لك .
- لا . سأذهب معه .

.. ..

تبتعد ملك عنه الان . الكل يذهب .. اسماعيل وعزيرة امة
علوان باشا .

لقد رآه علوان فى النادى ، فتظاهر بعدم رؤيته . وعندما أسرع
مقابلته ، وجد سيارته قد أسرع . وكلمها اتصل به . يقولون
انه غير موجود » .

بعد أن مات اسماعيل . أحس بأنه جبان . جريه خلف المائدة
بأكملها فى البلدة ، لم تكن شجاعة . إنما كانت رغبة فى الشجار .
لا أكثر . فلو كان شجاعا حقاً . لانتحر وارتاح بعد موت ابنه
هكذا ...

تتحرك ملك أمامه كالغزال . لم تعد تتحدث معه الا قليلا .
اقتربت منه . قالت فى وجوم :

— أبو الوفا .

أحس بالفرح . فيها هى ستعود ثانية الى ما كانت عليه .

— أجل يا ملك . تحت أمرك ..

— سألتحق بكلية الآداب .

— الآداب ؟!

— أجل . لقد تركتها من أجلك . وسأعود إليها ثانية .

لم تنتظر حتى تسمع رأيه ، فقد قالت « سألتحق » . لم تطلب
منه تصريحاً . ماذا سيقول لها . لقد حمد ربنا لأنها وافقت على أن
تعود . أسرع إليها ، قال :

— موافق يا ملك ، وسأساعدك بكل ما أستطيع .

لم تجبه . كانت تطلّى أظافر قدميها أمام المرأة . اقترب منها
أكثر :

— سأتى بخادمة لك لتساعدك . لتتفرغى للمذاكرة .

— لن تستطيع أى خادمة أن تتحملك .

لم يفضب لقولها . قال وكأنه لم يسمع :

— سأأت لك بشحانة العجوز . كان يعمل مع والدى فى أرض

الباشا . انه قوى رغم كبر سنه ، ماذا تريد ؟

منظت شفيتها ولم تجب .

كان شحانة العجوز يأتى الى مكتبه . فى عمله السابق . وكثيراً
ما أعطاه أبو الوفا نقوداً . وسأعده فى قضاء أعمال له فى
الاسكندرية .

انه يكبر أبو الوفا بأعوام قليلة . وكان خادماً لآبيه . يشتري له

طعامه ، وطعام امه من السوق .

وتدفع أجرته من دائرة الباشا .

يجلس بجوار أبو الوفا . يقرأ أبو الوفا له الجريدة . يشير له على صورة أبوزيد . يشد منه الجريدة :

— دعها لى يا « أبو الوفا » . أريد أن أتملى من رؤية وجهه ، فقد كان يتحدث معى كثيرا ، فكيف يضعونه — الآن — فى صدر الجريدة . كانوا يتحدثون فى الجريدة عن حادث رمى القنبلة على السلطان حسين فى الاسكندرية .

انجرام مأمور الضبط ، وأستاذ أخى وسيده ، يطوف مع أخى المحافظات ، بحثا عن المشافيين والعصاه .

الحلاق يقول ان الذى استأجر منه البيت ، رجل لا يمسرف اسمه . ولكنه أجر البيت لآخر . اسمه محمود حلمى .

أمسك انجرام عقد الإيجار . المستند الوحيد لديهم ، لادانة الجناة . لأبى زيد :

— اعمل نشرة بصورة زنكوغرافية لتوقيعه ، وعلقها على الجدران وأرسلها الى الوزارات والمصالح فقد يكون مستخدما هناك ، فيتعرفون على توقيعه .

دار أبوزيد وهو يمسك العقد . وجد « عقب » سيجارة ، ملقى بجوار القنبلتين اللتين لم تلقيا . انحنى وامسك عقب السيجارة .

كان انجرام مشغولا بمتابعة درج البيت ، نظر أخى الى عقب السيجارة ، وجد به ثلاثة حروف « ح ش » . خرج مسرعا الى انجرام :

— انظر يا سيدى .

ضاق به ، ماذا سيفعل بعقب سيجارة فى هذا الوقت ؟!

— انظر هذه الحروف .

تابع انجرام الحروف وصاح فرحا :

— لابد أنها تمثل اسم الجنانى .

صعدا معا الدرج . رابا سطح المنزل المجاور . الذى يفصل بينه

وبين البيت الآخر جدار قصير . صاح انجرام :

— لو كنت مكانه لفقزت الى هنا ، وهربت من الشارع الخلفى .

دقا باب الحجرة الوحيدة فوق السطح . اطلت الفتاة اليهما

فى خوف . ابتسم انجرام :

— أسمحين لنا بالدخول .

لم يكن أخى ودودا فى معاملة الناس مثله .
دخلت الفتاة دون أن ترد . عادت الى الخلف يظهرها ، جلسا
فوق كنية عربى . مغطاة بملاءة بيضاء ، مرتبة . الحجرة كلها مرتبة
ومنظمة .

قال انجرام « كان يفضب اذا ما بدأ أبى الحديث » .
- لقد نفر شخص من البيت المجاور لبيتكم .
قالت الفتاة فى خوف :
- متى ؟

- بعد صلاة الظهر مباشرة .
- لا . لم أره . كنت فى السوق وقتذاك .
صاح أخى بها :
- بنت . قولى الحقيقة .

ارتعدت . تراجعت الى الخلف بمؤخرتها . وهى ما زالت تجلس
فوق الارض :
- لا تفضب الفتاة هكذا .

(لم يكن انجرام صادقا فيما يقول . فهذه طريقة تتبعها فى المعاملة
هامة فى الشرطة ، فاننا نعلم دائما الشرطين السريين . بأن يسير
كل اثنين منهم معا . واحد منهما يتظاهر بالقسوة ، فيهدد ويسب
ويضرب أحيانا . والآخر يتودد ويمنى . ويحاول منع زميله من
السب والضرب . وبهذه الطريقة يتحقق للمتهم الجانبان : التهريب
والترغيب) .

ولكن الفتاة لم يصلح معها شيء . فقد أصرت على قولها .
وخرجنا من حجرتها غاضبين .

جمع أخى رجاله . جعلهم يطوفون على محلات الورق البفرة ،
الذى يستخدم فى لف السجائر . وكانت كثيرة فى هذا الوقت .
من كثرتها ، يحاول كل منها ان يكسب عملاء ويفريهم . فواحد
يكتب أبحاثا من الشعر والزجل . أو الحكم والمواعظ . على كل ورقة .
وأخر يكتب الحروف الاولى من اسم كل عميل مع الاتفاق معه على
الكمية التى يطلبها .

وتوصل أحد رجال المباحث . الى صاحب المحل . فقبض عليه .
واعترف أن هذا الورق قد صنعه خصيصا من أجل عميل اسمه
حمدى شعراوى . يعمل مدرسا بمدرسة الجمعية الخيرية الاسلامية .

صفية منصور

توقف العمل تقريبا في شركة الكيماويات الجديدة ..
أبو الوفا لا يأتي إلا قليلا . وإذا جاء لا يفعل شيئا . سوى متابعة
الجدران ، والمناظر المعلقة فوقها .
أكد بعض السعاة بأنه رآه يحدث نفسه يوما ، وآخرون رأوه
يحدث صورة معلقة .
سافر صالح الى القاهرة ، قابل رئيس المؤسسة الكيماوية ، شكا
له حال الشركة . قال الرجل :
- لا أستطيع شيئا . يمكنك أن تقابل وكيل وزارة الصناعة .
انا لا أستطيع أن أقامر بعمرى كله في العمل من أجلكم .
مكتب وكيل وزارة الصناعة في نفس المبنى الذى به المؤسسة .
ذهب صالح اليه ، قالت سكرتيرة :
- هو في أمريكا الان . ولن يعود قبل آخر الشهر .

.....

ذهب الى مبنى مجلة « العهد السعيد » التى تعمل بها صفية .
حجرتها صغيرة ، المكتب صغير ، وثلاثة مقاعد أمام المكتب .
وملصقات فوق الجدران تتحدث عن المكاسب الاشتراكية للشعب .
وصورة لعبد الناصر .

خرجت صفية سعيدة من مكتبها :

- صالح . أهلا بك .

جلس فوق المقعد ، قرأ الملصقات مبتسما :

- لماذا تبسم ؟

- لم أر هذه الملصقات فى المرات السابقة .

- أجل . أحسنت ان الناس نسيتهما ، وأردت أن أكتب عنها

فى المجلة ، لكن رئيس التحرير رفض نشرها . فاكثفت بملصقاتها
فوق الجدران .

وضحكت بصوت مرتفع ، ثم أخرجت سيجارة وقالت :

- لأن لا تدخن . اليس كذلك ؟

- أجل .

- فى مهمة تابعة للشركة ؟

- أجل .
- ماذا فعل رئيس الشركة الجديد ؟
- لا يريد أن يصل ، ولا يريد أن يتركنا نعمل .
- ضحكت :
- وجئت تشكوه ، فلم يستجب لك أحد .
- أجل . . من أدراك ؟
- ذلك شيء طبيعي الآن . كل الأمور تسير الى الاسوأ .
- بدأت أثق في حديثك عن الخطة التي تنفذ الآن لانهاء مقاومة هذا الشعب . وقتل القيم فيه .
- أجل . لكن لابد من مقاومة هذا المخطط .
- أفكر في نشر مذكرات أبى ، مارايك ؟
- خرجت من خلف مكتبها ، جلست أمامه . أحسبت بأنه تغير قليلاً :
- فكرة عظيمة ، جئت بالمذكرات معك ؟
- أجل .
- لابد من وجود ناشر لها .
- ومجلتكم ؟
- ضحكت :
- مجلتنا لا يهمها هذا . لن ننشرها لك سوى مجلة خاصة ،
- مازال صاحبها بعيداً عن المخطط الذى حكيت لك عنه .
- حملت حقيبتها :
- لن أطلب لك مشروباً . لآنك ستأتى معى للبيت ، لتتناول
- الغداء معى .
-
- ركب سيارتها الصغيرة ، ذات الباب الواحد . قالت وهى تضحك :
- تصور ، رئيس تحرير مجلتنا ، الذى تريده ان ينشر لك مذكرات أبىك الوطنية ، يشارك عدداً من الفرنسيين فى اقامة بنك فى مصر .
- لم يجيبها ، قالت ثانية :

— لماذا لا تبقى معي يومين أو ثلاثة . احسن انك متاثر بها جرى في شركتك .

— أجل . انا في حاجة لان ابتعد عن كل الاماكن التى اعيش فيها الان . الشركة ، البيت ، كل شيء .
— وامينة ١٤

قالتها بخبث ، تظاهر بعدم الفهم ، قال :

— تصورى ، زوجها قدم استقالته من الجيش ، وافتتح شركة استيراد وتصدير ، لا أدري ما الذى سيستوردونه ، وما الذى سيصدرونه .

— ذلك أمر عادى ، انظر الى المقاهى الكبيرة فى القاهرة والاسكندرية ، كلها تحولت الى بنوك وشركات استثمارية . حتى اصحاب الفيلات اقاموا مكان حدائقهم بوتيكا .

.....

دخلنا معا . الزهور فى حديقة الفيلا يانعة . والارض خضراء :

— من يعنى بالحديقة ؟

— انا .

— وحدك ؟

— أجل .

اخذت ملابسها وارتدت بيجامتها . جسدها لم يمتلئ ابدا .

— صفة . سعيدة فى حياتك ؟

— ماذا ترى ؟

— لو كانت واحدة غيرك لضجت . ولم تستطع ان تكمل .

— تقترين من الاربعين الان . ولم تتزوجى . كما انك تعيشين

فى هذه الفيلا وحدك .

— بل احسن احيانا انى وحيدة ، رغم وجودى بين الناس .

اقتربت منه ، جلست على حافة المقعد المجاور له :

— مثلا ، فى المجلة التى اعمل بها . اشعر احيانا انى وحيدة .

واننى اتحدث لفة لا يفهما سوى .

« لقد رغبت فيك يوما ، قبل ان اعرف امينة ، وقبل ان افصل

من الكلية الحربية ، بسبب ابيك ، لكن الان ، لا اعرف ما اريد .

احب ان ارى امينة ، مازلت ارتاح لرؤية وجهها الجميل .. ولكننى

لم افكر فيها جنسيا ابدا . ولكن انت ...

مد يده ، وضعها فوق يدها . انك اكثر ثقافة منى انا ، وامينة

لا يجيد الحديث في أي شيء .

— السنون تمر بأصفية ويجب أن ...

وضعت يدها فوق يده :

— أرجوك ، دعنا من الحديث عني . فذلك لا يروق لي .

كان يدها وضعت فوق فمه ، لا يده . فكف عن القول .

— قم ، وارثد ببيجامتك .

ضحك . فقد أتى يوما ببيجامته من بيتهم . على أنه سيقضي

ليلته في « فندق » ، لكنها غضبت ، وأصرت أن ينام في الفيلا .

وأخذت منه البيجامة وأبقته عندها ، حتى إذا ما جاء ، يرتديها .

ففسلها بعد أن يذهب ، وتكويها له .

.....

ذهبت لتأتي له بالبيجامة .

هو الوحيد الذي يتحدث معها في هذه الأمور . السن ، الانوثة ،

الزواج .

لا تسمح لسواه بالخوض فيها .

تتظاهر بأنها سعيدة . يظن زملائها في المحلة . ان انوثتها لا تمثل

لها مشكلة ، وان السياسة والصحافة قد أنسيها ان تفكر في شيء

آخر سواهما .

لكنها لم تنس انوثتها أبدا . في كثير من الليالي ، تطفئ أنوار

الفيلا . وتشعل مصباحا موضوعا — خصيصا — فوق مرآة كبيرة .

وتتعمى — تكشف عن جسدها كله . تتابعه في المرآة بالساعات .

كانت تحس بالبرودة في الشتاء . فأتت بالدفايات ، ووضعته

حول المرأة .

ولكن مع صالح تنسى نفسها .

أحبته وهو مازال صغيرا . عندما كان يأتي مع أبيه لزيارتهم ،

كانت تنسى كل شيء سواه .

تريه أزهارها « مازالت تفعل معه هذا للآن » . تريه ملابسها

الجديدة ، قططها .

قالت أمها عندما رأتها هكذا :

— لولا أنك أكبر منه بعامين ، لصلح لك زوجا .

السنوات تمر كثيرة ، كثيرة ، وهي كما هي . بلا زوج . وهو

الآخر بلا زوجة .

تسعد عندما يزورها بالمحلة ، تنسى ملصقاتها .

ردد لنفسها - أحيانا - أنها لو تزوجته ، ما استطاعت أن تحقق ما حققته من شهرة - الآن - في الصحافة . كانت ستظل تحدته هو فقط . وتظل تنظر إليه دون أن تفعل شيئا . ولو كتبت ، فستكتب عن وجهه وحديثه وأبتسامته .

تقرأ في المساء كثيرا . تحس أنها لا تستطيع أن ترى بنظارتها الطبية ، تدعك عينيها ، تحس بصداق في المساء . تنتظره ، فهو أمر مألوف لديها .

تسرع إلى أجزخانتها ، تخرج اقراصها المنومة . عند أول استعمال لتلك الاقراص . كانت تنام بسرعة لاقبل جريمة . وظلت الجرعات تزداد . حتى حذرها الاطباء من خطورة هذا . ولكن ماذا تفعل . وهي تكاد تجن من الارق . ومن الرغبة في رؤية جسدها . والتفكير في المخطط الذي ينفون به قتل كل مقسومة ، ومذكرات أبيها .

حدثها صالح عن أمينة . لم ترها للآن . ولكنها تظن أنها ستعرفها ، لو رأتها ، من كثرة ما قاله صالح عنها . ومن كثرة التفكير فيها . لم تشعره أبدا بالضيق من حديثه . رغم أنها كانت تبكي بعد أن يتركها .

أرادت أن تبدو قوية أمامه . ليست هي التي تغار من أجل رجل . ماذا لو أحس بأنها تغار . ماذا سيقول عنها ، وماذا سيبتقي نساء البيوت واليشمك . وتحاول أن تعاند نفسها . وتدريبها على احتمال العذاب . فتسأله كلما رآته :

- ما أخبار أمينة . أمازلت تحبها ؟
ربما ، لهذا لا يحس بك ، ربما ردد لنفسه . أنك لو كنت تحبينه ، ما كنت تصرفت معه هذا التصرف .

.....
أعطته يجماعته ..

- تعال لتساعدني في عمل الفداء .
ذهب إلى حجرة أخرى ، ليغير ملابسه . « ايه يا ابن مجاهد . إلى أي طريق تسير » .
مازلت تحلم وتتمنى في أحلام اليقظة أن تتزوج أمينة . أن يكون سري القاضي ، وهما . لم تره يوما . ولم ير - هو - أمينة . وأن يكون ولداها هما ولدائه .

وذهب الى المطبخ ، صفية مشغولة امام الموقد . سار اليها . لم
يحس به . عنقها مكشوف .
كثيراً ما رأى أمينة هكذا . عندما تنحني لتكتب فوق مكتبها وهي
معيدة .

مد يده ، ولس عنقها . نظرت اليه في دهشة :

— صالح . ماذا فعلت ؟!

ارتخت يده . وقف بجانبها امام الموقد . ارتعشت يداها وهي
تكسر البيض . ثم عادت ثانية لطبيعتها . وكان شيئاً لم يحدث .
— أسفة يا صالح . لو كنت أعلم أنك ستأتى اليوم . لأعددت لك
طعاماً خاصاً . لماذا لا تتصل بى قبل أن تأتى .

بدأ جسد أمينة يمتلئ . لكن صفية تحافظ على قوامها . لا تنس
أبداً رياضة الصباح . كما أنها تذهب الى النادي ثلاثة أيام فى الاسبوع .
لتجربى ألعابها الرياضية .
وعندما قرأت عن ممثلة مشهورة بأمريكا . تحافظ على قوامها
بالرقص ، رقصت .

— ساعدنى يا أخى مالك تقف هكذا .

كان مرتبكاً من تصرفه المفاجئ معها . أحس أن ثمره فى حياته
كلها — هو الذى دفعه لهذا التصرف الغريب .
حمل الاطباق ، وضعها فوق المائدة . وأنت هى بالباقي . جلسا
متجاورين .

ماذا يحدث لو تزوجها . أكبر منه بعامين . لقد صاع من عمره
الكثير . دون شيء . ماذا يمثل العمان . والى متى سيبطل هكذا .
— صالح . أنت فى هذه المرة غير عادى .

— لا أبداً .

كانت سعيدة . لقد فاجأها بلمس رقبتها . وكانت المفاجأة الأكبر
نظرته اليها . كانت تحمل أشياء كثيرة . تراها لأول مرة فيه .
أحست بحبه لأمينة . حتى قبل أن يصرح لها به .
يكت يوم أن قال لها عن أساءه ، لأن صديقته تزوج منها .
ألعله نسى أمينة الآن ؟

تعلم أنها ليست جميلة . ولكنها أحبته . كان حبها له أحد
الدوافع للبعد عن الناس . وغلقت حجرتها عليها فى الجريدة — والبحث
عن أشياء جادة ، نسيها الناس الآن .

أحد استباب أساها أن تحبه كل تلك السنين . وهو لاه منها بحب
لا أمل فيه .

أعدت له فتجانا من القهوة . تابعته وهو ينظر في حزن الى الفضاء ،
شفتاه زمومتان . حاولت تقليده ساخرة . أشعلت سيجارة .

— تأخذ سيجارة . لعلها تزيل همك ؟

قال لاه ، بعد أول مرة ينام فيها في الفيلا مع صفية .
ضربت على صدرها :

— أجننت ، تنام في الفيلا . وليس بها سواكما .

— وما المانع ؟

— المانع ، أنك شاب وهى شابة .

خشى أن يقول هذا لاييه .

اقتربت منه ، جلست على حافة مقعده . اخذت تنفث دخان
سيجارتها في وجهه . أبعدا وهو يبتسم :

— لا أحب رائحة الدخان .

قالت في دلال :

— ماذا تحب إذن ؟

الى متى سيظل هكذا ، انه لم يتعامل ابدا مع فتاة أو امرأة ، لم
يجالس فتاة ، جلسة حب ، في محل عام .

صفية ترغب فيه ، يبدو هذا من كل تصرفاتها . اهتمامها به .
اصرارها أن يبيت في الفيلا رغم انها وحدها .

قال بعد تردد طويل :

— أحبك أنت .

صدمتها الكلمة ، ظنت — أول الامر — انه لم يقلها بلسانه ، وانما
كانت تحلم في يقظتها . أو انه يمزح معها . ولكنه كان جادا :

— صالح ، ماذا قلت ؟

— أحبك .

ضمت رقبته بيديها :

— أخيرا يا صالح .

بكت من فرط فرحتها ، سنوات طوال تتمتع بـ ، كلما تجاهلها .
أحست بمدى قبحها . لو كانت جميلة — حقا — ما استطاع أن

يقاوم كل اغراءاتها .

نظر — هو — الى دموعها في دهشة :

— اتحبيننى الى هذا الحد ؟!

تركها تقبله ، وهو جالس مكانه دون مقاومة .

كانت فرحة ، دخلت حجرته ، شدت غطاءه من فوق جسده :
- قم يا صالح . لا أستطيع أن أبقى في الفراش الى هذا الوقت .
اعتدل ، كانت مرتدية ملابس الخروج :
- لقد أعددت لك الفطور . سأتى به لك فوق السرير .
أسرعت

غريب ما حدث معها بالامس . لم يكن يظن أن كلمته ستفعل بها
كل هذا . ايجبها حقا . لقد قال كلمته - تلك - لانه اشتهاها ،
وقتلها .
انت بالطعام :

- هيا ايها الكسول .
تحاول ، الا تفكره بما حدث بالامس . كان يتوقع ان تقبله ، كما
كانت تفعل . وتسهب في الحديث عما حدث . لعلها لامت نفسها ،
لاندفاعها اليه هكذا .
- هيا يا صالح . سنمر على مجلة « الاصلاح » لاعرض على رئيس
التحرير مذكرات ابيك . ثم اذهب الى المجلة .
امسك يدها :

- سنمر على مجلة الاصلاح . ولن تذهبي للمجلة . يجب ان
تقضى اليوم كله معي .
قالت في ضيق :

- والعمل !

- لو ذهبت للمجلة سأسافر .
- لا .. سأبقى معك .

قال رئيس تحرير مجلة الاصلاح :

- ساقرا المذكرات ، واتصل بصفية ، لاقول رأيي فيها ،
ومتخبرك هي .

المسألة

حين قبض على حمدي شعراوى ، وأحمد صابر (الذى استاجر البيت من الحلاق) ، كان مجاهد - والدى - مقبوضا عليه بتهم تهريب المون والأسلحة الى طرابلس عن طريق المنيا والقيوم .
أوسلت الجمعية اليه مندوبا ، بأن يعد شاهدين ، يشهدان بأن حمدي شعراوى كان معهما يوم الجمعة ، ٩ يوليو ١٩١٥ ، بعد صلاة الجمعة ، وانهم كانوا يلعبون الطاولة فى قهوة البيراميد . حيث انه فى ذلك الوقت لم يكن البوليس قبض على والدى .
وذهب والدى مع آخر الى المحكمة ، مع جنديين ، وفى أيديهما الحديد ، وشهدا بما أمرت به الجمعية .
ولكن لم تنفع الشهادة بشئ ، فقد حكمت المحكمة الانجليزية عليهما بالاعدام شنقا .

.....

ذهب أبوزيد حسنين بنفسه لمقابلة حمدي شعراوى ، كان فى زنزانة منفردة ، يرتدى البدلة الحمراء .
قدم أبوزيد له سيجارة :
- أتعرفنى ؟
- أجل . الجرائد تتحدث كثيرا عن همك فى القبض على السياسيين .
ضحك .

- ولكننى أستطيع مساعدتك .
ضحك حمدي ، رمى السيجارة فى ضيق ، رغم انه لم يشعلها .
- بعد أيام ساموت .. بماذا أفيدك ؟!
- يمكننى أن أبقىك حيا .

اقترب أبوزيد منه ، كادت شفتاه ان تلمسا وجه حمدي ، همس فى أذنه ، رغم انه ليس فى الزنزانة سواهما . أحس حمدي بقشعريرة :
- أجل . ممكن أن أجعلهم يخفون الحكم عليك ، وبعد سنوات قليلة ، تخرج .

- والشمع ؟

- رخيص جدا ، أسماء أعضاء الجمعية .

- ابتعد حمدي عن وجهه متقرّزا .

- عندما ألقيت القنبلة ، كنت أعلم أنه يمكن أن أموت ، ورميتها

رغم هذا .

- أجل . لكن الموت يقترب الآن . وأصبح أمرا محتوما .

- أرجوك . أنا أشعر بأشمئزاز من كلامك ، أرجوك تخرج .

مريح فيه ..

.. .. .

- سافر أبوزيد حسنين الى بلدة (أبا الولف) التابعة لمركز مغاغة .

- كان يرتدى بدلة عادية حتى لا يعرف أحد أنه من البوليس .

- قابل أبا حمدي شعراوي ، رجل عجوز ، حزنه على ولده . أحنى

هامته . لم يخلق لحيته منذ أن قبضوا عليه .

- قدم أبوزيد نفسه ، على أنه محام مفوض من الدولة للدفاع

من ابنه :

- ابنك لا يريد أن يساعدني .

- كيف ؟

- تعلم أنه سيشتق ؟

- أعلم .

- يمكنك أن تخفف الحكم عنه .

- كيف ؟

- بأن تجعله يعترف بأسماء أعضاء الجمعية .

- وماذا أستطيع أن أفعل ؟

- حدثه في هذا ، فهو مصر على الرفض . ألا تريده أن يعيش ؟

- أجل .

.. .. .

- سافر والد حمدي اليه ، سهل أبوزيد له أمر الزيارة للسجن .

- يا ابني . الرجل يريد أن يساعدك . فلماذا ~~ترفض~~ تساعدته .

- من يا أبي ؟

- المحامي الذي فوضته الدولة للدفاع هناك .

- أنه ليس محاميا . إنه ضابط بوليس . يريدني أن أرشد مر

زملائي . هرا ، ترضى أن أبلغ عن زملائي ؟

- وحياتك ؟

— كنت اتوقع قبل ان ألقى القنبلة أن أموت .

كلف السلطان حسين كامل — رئيس وزرائه حسين رشدي باشا بالتدخل لدى القوات البريطانية لتخفيف الحكم من الاهدام الى السجن المؤبد .

لم يياس أبو زيد حسنين . فقد ذهب الى حمدي شعراوي في سجنه :
— لقد أوصيت عليك القائمين على السجن . لو أساء اليك أحدهم ، أرسل لي .
— أشكرك .

— ان أردت شيئا أرسل لي ؟ لقد تدخلت لدى السلطات لتخفيف الحكم عليك . أشعر بحب تجاهك ، لا أدري له سببا .

حدث أبو زيد انجرام ، في أمر حمدي شعراوي :
— والحق . من أنى سأستفيد من هذا الولد .
— كيف ؟

— لقد درست حالته دراسة كافية ، انه فقير ، والده لا يملك سوى قيراط ونصف في البلد . وهو يعمل مدرسا براتب صغير جدا . كما إنه من انشط أفراد الجمعية . وأكثرهم جراءة . لقد أصر على لقاء القنبلة . رغم ان الكثيرين قد أرادوا هذا قبله .
— لكنه في السجن الآن ؟

— أفراد الجمعية ما زالوا يقابلونه هناك . كما اننا من الممكن ان نتدخل للإفراج عنه . بأى سبب من الاسباب .
— تلك مغامرة غير مضمونة ؟ فمن الممكن الا يتغير

الاربعاء ١٩ مايو ١٩١٥.

راجت في عصر السلطان حسين كامل ، تجارة الرقيق الابيض
رواجا عظيما ، ودفعت الضائقة المالية التي استحكمت حلقها
خلال الحرب ، وانقطاع الاعمال ، وارتفاع الاسعار ، وتعذر اسباب
المعيشة على الطبقات الفقيرة دفعت عددا كبيرا الى الاتجار في اعراض
زوجهاتهم وبناتهم .

وقد تالفت في المدن الكبرى مصابات ، كانت تخطف الفتيات
القاصرات وترغمهن على مزاولة الدعارة ، فكثر اختفاء اللواتي تتراوح
اعمارهن بين السادسة عشرة والثامنة عشرة ، ولم تكن نشرة ادارية
تخلو من الاعلان عن الفتيات المتغيبات .

إلى شحاتة العجوز إلى بيت أبو الوفا جسيين ، أعدت له ملك
حجرة صغيرة لينام فيها .

الرجل عجوز حقاً ، لكنه نشيط ، يستطيع فعل كل شيء في
البيت . الكنس • مسح البلاط ، غسل الأواني .. الخ .
ولأنه عاش حياته بلا زوج . فهو يجيد الطهي أيضاً .

ارتاحت ملك له ، فالرجل هادئ . دائم الابتسام . يقوم قبل
الفجر ، يتوضأ ويصلي الفجر . ويقرأ القرآن بصوت خافت . حتى
لا يوقظ أبو الوفا وملك . ثم يدخل « المطبخ » وبعد الإفطار .
عندما تدخل ملك المطبخ ، تجده قد أعد كل شيء :

— لقد أرحتني يا عم شحاتة . بارك الله فيك .
أحسن هو الآخر — يحب لك . فالمرأة لا تنسأه أبداً . إذا
ما صنعت لنفسها قهوة ، تعد له مثلها .

يخرج أبو الوفا في الصباح ، تجلس ملك ، تنادي شحاتة ، الذي
لا يلبس نداءها بسهولة فهو مشغول دائماً بفعل شيء في المنزل .
رأته مرة يمسح البلاط القديم بطوبة حمراء ، حتى يعيد إليه
بريقه ...

يأتي إليها مضطراً :

— اجلس يا عم شحاتة ، ارتح قليلاً .

تترك الشقة له . إذا ما كان لديها محاضرة في الكلية . تأتي
بعدها ، تجده قد أعد كل شيء لم تفضبه يوماً ، ولم تصرخ فيه ،
مثلما يفعل أبو الوفا : الذي يسبه دائماً .

لقد أحست ملك أن شحاتة قد جاءها في الوقت المناسب . بعد
أن أهانها أبو الوفا أمام سكان العمارة ، قررت ألا تعود إليه . ولكنها
لم تستطع ، فهي تعرف حالة أخيها محمود المالية ، زوجته لا تعمل ،
وأولاده كثيرون . ودخله ليس كبيراً . فالحل هو أن تكمل دراستها
في كلية الآداب . التي تركتها من أجل أبو الوفا .

بعدها ستترك البيت . وتعيش بعيداً عنه .

شحاتة العجوز يعينها على احتمال تلك الحياة . فهو لديه كم
هائل من الحكايات والنوادر يخفيها بطريقته الريفية ، فتضحك ملك
كثيراً .

يحكى لها عن والد أبو الوفا ، حسنين خولى الباشا . ويحكى لها عن الباشا وزوجته وأولاده .

تذكر أيامها الماضية مع أبو الوفا ، عندما كانت تتحدث معه طوال الوقت .

هى الآن تتصرف بهذه الطريقة مع شحاتة .
إذا ما ذهب ليمسح دورة المياه ، تقف على بابها ، تحدثه ويحدثها .

.....
عاد صالح من القاهرة ، أحس بأن ما حدث بينه وبين صغية قد زاده هما .

بعد أن أفاق ، أحس أن جرحه قد ازداد اتساعا وعمقا .

سأله حمدي رشوان :

— لماذا تأخرت هكذا ؟!

قال إبراهيم زيدان ؟!

— لا شك أن الأمورية طالت ، فاضطر أن يبقى حتى ينتهى منها .

— ماذا حدث ، قابلت رئيس المؤسسة ؟

— أجل . ولم يجد لى حلا .

— والعمل ؟

— الموضوع معقد .

— أنه لم يوقع على شيك المربيات حتى الآن .

— سأحدثه فى هذا عندما يأتى .

جاءه السامى مسرعا :

— دكتور صالح ، تليفون من الخارج .

أسرع الى مكتبه . كانت المتحدثة هى أمينة :

— آلو . ماذا بك . لماذا تبكين ؟

— أرجوك يا دكتور تأتى الى الكلية الآن .

— سأحضر حالا .

.....
أمينة تجلس فوق مكتبها ، نفس المكتب الذى كان يجاور مكتبه ، عندما كان مدرسا فى الكلية هبت عندما راته :

— دكتور صالح ، الحقنى .

— ماذا حدث ؟

كان الدولار ، الذى يجاور مكتبها مفتوحا ، والاشياء - التى كانت بداخله - ملقاة على الأرض .

- فتحت الدولار ، الذى به عينات بحثى . فلم أجد العينات .
بكت ...

- اهدئى يا أمينة .

- العينات التى تعبت فى فحصها لسنوات . وبذلت فيها مجهودا
ووقتا .

نظر الى الدولار ، قال أحد المدرسين :

- لقد نارت وألقت محتويات الدولار على الأرض .
قال آخر :

- تستطيعين الحصول على عينات أخرى .
صرخت :

- ظللت أدرسها لثلاث سنوات كاملة .

قال صالح للمدرسين :

- بالطبع ، تعرفان من له مصلحة فى أخذ العينات .
قال أحدهما :

- لا نعلم .

والآخر ، نظر الى الدولار ولم يجب .

- الوحيد الذى تهمة هذه العينات . هو رئيس القسم ، الذى
يدرس نفس الدراسات التى اهتمت بها أمينة .
قال صالح لها :

- تعالى معى . سأذهب لواجهه .

قال أحد المدرسين :

- ليس هناك داع لهذا . فليس لديكما ما يؤكد هذا .
قالت أمينة :

- هيا بنا . ليست هناك فائدة .

.....

اتصلت صفية به مساء :

- آلو صالح . كيف حالك . لقد وافق رئيس تحرير مجلة
الإصلاح على نشر المذكرات مسلسلة سيبدأ من العدد القادم .
- شكرا لك يا صفية .

- متى ستأتى الى القاهرة .

- لا أدرى . مشغول الآن للغاية .

الانين ٢٢ مايو ١٩١٦

كثر فى عصر السلطان حسين كامل ، غش المصوغات ، وظهرت فى تلك الايام ، افئدة من المحتالين ، يبيعون للناس تحاسا مطليا بالذهب على انه من الذهب الخالص . وكثرت جرائم تزيف النقود الفضية والورقية من الاجانب والوطنيين ، وضبطت آلات التزيف فى عدد من القرى والمدن ، وكذلك خطف النقود والملابس . والمواد الغذائية من المارة والمحلات العامة ، وكثرت السرقات . واشترك فى السرقات بعض المتعلمين - لأول مرة فى تاريخ البلاد - فمنهم المحامى ، وأرباب الشهادات من المتعلمين . وبعض الموظفين .

ضبط اسماعيل صدقى ، وكان وزيرا للاوقاف وقتذاك ، فى عوامة مع امرأة ، وضبطا عاريين ، وقد اضطرت المرأة أن تنتحر بالسم .

وتعذر الزواج على الشبان ، لارتفاع نفقات المعيشة ، فكانوا يتسكعون فى الشوارع والطرق وأمام دور اللهو .

وكشف التحقيق ان امرأة واحدة من القوادات تملك مائة وخمسين بيتا ومائة فدان . ولديها عدد كبير من الاعوان والخدم . وبينها وبين بيوت الدمارة . فى القاهرة وبور سعيد والقيوم وغيرها - اتفاقات تجارية ، تتعهد بمقتضاها أن تورد لتلك البيوت ، أجمل الفتيات وتحرر بالقيمة وثيقة . اذا لم يتم الدفع فورا .

قال صالح لوالده عن خبر نشر المذكرات ، فرح الرجل كثيرا ، قالت الام :

- اخشى ان تعيد هذه المذكرات الالام البنا ثانية .

صاح الاب بها :

- ماذا يخيفك . اننى اتحدث عن عصر يختلف عن هذا العصر .

سأله صالح عن سبب حدوث السرقات والتزيف والدمارة وخطف البنات فى عصر السلطان حسين ، كما جاء فى مذكراته ؟

قال الاب :

— لقد كان هناك راعي غنم — في زمن عمر بن عبد العزيز ، كان
بنام تحت شجرة ، تاركا الذئب تحرس الاغنام مع الكلاب ،
هكذا كان الحال في وقت عمر بن عبد العزيز .
وفجأة ، رأى الراعي — من بعيد — الذئب تنقض على الاغنام .
وتقتلها .

صاح الرجل :

— لا حول ولا قوة الا بالله . لقد مات عمر بن عبد العزيز .
وحدث فعلا . أن مات عمر بن عبد العزيز ، في نفس الوقت الذي
هجمت فيه الذئب على الاغنام .
ظننت المرأة أن زوجها يهذى . قالت :
— ماصلة ماتقوله ، بسؤال ابنك !؟

.....

علقت السلطات لوحات على كثير من شوارع الدعارة . تحرم فيها
مرور الجنود البريطانيين في هذه الشوارع ، ونشرت صحيفة وادي
النيل في ١٩١٦/٥/٣١ :

أن الصحف الاسترالية قد تناولت الدعارة في مصر وهولت فيها
وبالغت ، وقالت انها السبب في افساد اخلاق الجنود ، وتحطيم
قوتهم الجسدية . واضعاف روحهم المعنوية ، فضلا عما يصيبهم من
امراض خبيثة .

.....

ونشرت مجلة الوطن في ١٩١٨/٨/١٤ عن هذا الموضوع :

كلفت الحكومة رجال الشرطة العاديين بمراقبة الاداب ، فلم يحسن
هؤلاء القيام بعملهم فكانوا يقبضون على حرائر النساء معتقدين
انهم من السافقات ، فقبض على الزوج وزوجته . والرجل وخطيبته .
والشقيق وشقيقته .

المواجهة

يتابع أبو الوفا ملك من حجرته ، يترك الجريدة التي يقرأها وينظر إليها ..

أتى الرجل - شحاته - من الحجرة الأخرى . وهى فى انتظاره :
- شحاتة . شحاتة . تعال .

المرأة لا تتحدث - الآن - سوى مع شحاتة .
قال شحاتة متسائلا :

- ماذا هناك ؟

شدته من يده ، أدخلته الحجرة ، هب أبو الوفا ، أسرع الى الحجرة ، رآها تنظر من النافذة :

- أنظر يا شحاتة .

أخذوا ينظران معا من النافذة . وقف أبو الوفا للحظات ، ماذا يفعل ؟ ابصرخ فيهما كما كان يفعل من قبل . انه يخشى غضبها الآن .

عاد ثالية الى مكانه ، حاول ان يقرأ الجريدة ، لم يستطع .
نام فى تلك الليلة بجوار ملك . أنها تنام بعيدا عنه ، لا تتجسس ناحيته ..

رأى فى منامه ملك تسير بقميصها العارى الشفاف ، شحاتة ينتظرها فى الطرفة ، يسيران معا ناحية الحجرة الأخرى « نفس الحجرة التى دعت شحاتة اليها لينظران معا من النافذة الى الشارع » .

رآها تدعوه للنوم معها ، كانت تتعلق برقبته .. صاح أبو الوفا فرعا ..

صحا من نومه ، أشعل المصباح . نظر فى ساعته .. الفجر يقترب ..

سمع جلبة فى الخارج . ولكن ملك مازالت بجواره .
لقد تأكد الآن أن ملك على علاقة بشحاتة فأحلامه لا تخيب أبدا .
لقد جئت ، أخونه مع ذلك المجوز ، الذى لا يفقه من الدنيا شيئا .

أسرع أبو الوفا إلى الخارج ، وجلل شحاتة يستعد لدخول دورة المياه . وهو يردد آيات من القرآن الكريم بصوت خافت :
- ماذا تفعل الآن ؟

شحاتة يخافه ، يرتعد عندما يراه :
- اننى ، داخل لاتوضأ .

سمعت ملك صوت صراخه . استيقظت ، أحست بأن فى الامر شيئاً غريباً . اتراه يشك أيضاً فى هذا الرجل العجوز !
أتى أبو الوفا ، نظر إليها شذراً ، ولكنه لم يتكلم :
- ماذا حدث ؟

قالتها فى تحد ، قال :
- لا شيء .

- ماذا فعل شحاتة ، لتصرخ فيه هكذا !
- وما شأنك أنت ، لماذا تدافعين عنه ؟

- أدافع عنه !؟ انه فى عمر أبى .
- عمر أهلك !؟ والحلم الذى حلمته الليلة .
- ماذا تقصد ؟

- لا أقصد شيئاً ، كفى حديثاً الآن .
صمتت ملك ، الى متى ستحتمل هذا الرجل ؟

.....

خرج من البيت مبكراً . ركب سيارته ، طاف بها الشوارع الخالية من المارة . وقف بها فى محطة الرمل ، دخل محلاً عاماً ، شرب كوب شاي . وعاد ثانية الى سيارته .

أحس بأن الحلقة تضيق شيئاً فشيئاً ، ورقبته داخلها .
لا بد أن هناك علاقة ما ، بين موت اسماعيل ولده ، وعصرفت ملك معه . فأقماها ، عقاب لشيء فعله ، ربما تسببه فى موت ولده اسماعيل .

اقتربت السيارة من مبنى الشركة ، كل شيء فيها يضنيه . خاصة ذلك الولد صالح ، انه يتحدث ببرود شديد . كأنه يسخر منه ، أو يرمى لحاله .

دخلت السيارة الباب الكبير . أول مرة يأتى اليهم مبكراً ، لهذا هم مندهشون . خرج من السيارة ، دخل باب الإدارة ، سأل السامى :

- دكتور صالح وصل ؟

- اجل . في حجرته .
 سار اليه ، أحس أن يديه ترتعشان ، وساقيه لا تقدران على
 حمله . دق الباب ، سمع من يقول :
 - ادخل .
 الموظفون والسعادة ينظرون اليه . يتساءلون عما يريد من صالح
 الآن .
 وقف صالح مرحبا . لعل الرجل عاد لرشده ، ويريد أن يوقع
 شيك المربيات .
 صاح أبو الوفا بصوت مرتفع ، سمعه كل من في الإدارة :
 - دكتور صالح ، يلعن أبوك .
 لم يصدق صالح ما حدث ، ضحك - أول الامر - ثم قام .
 فتح الباب ، الموظفون - كلهم - ينظرون اليه في دهشة . والسعاة
 يهسون :
 - ماذا فعل الدكتور له ، ليقول له هذا ؟
 أسرع حمدي اليه :
 - صالح ، لا تهتم .
 لم يجبه . أسرع الى مكتب أبو الوفا ، دخل دون استئذان ، جلس
 وأبو الوفا ينظر اليه كأنه لا يحس بما حدث .
 - ماذا قلت لي ؟
 - ماذا . تريد أن تتشاجر معي ؟
 - لا . إنما أردت أن أعرفك من هو أبي الذي سببته . انه لاشك
 خير من أبيك .
 رمى أبو الوفا الأوراق التي أمامه ، رأى صالح ، وملك واسماعيل ،
 وأباه الخولي . الذي كان يستمد قوته لدى الباشا من نقل الاخبار
 اليه . وأبوزيد حسنين - شقيقه - الذي أصبح مشهورا ، وصار
 مهما ، لانه قبض على السياسيين في وقته .
 الكل ينظر الي أبي الوفا ، ينتظر ما سيفعله بصالح :
 - أخرج .
 صاح أبو الوفا ، ثم بكى بصوت مرتفع .
 دخل الموظفون مسرعين ، على اثر سماعهم صوته ، ظانين أن صالح
 قد تشاجر معه . وجدوه مرتعيا فوق المقعد منهارا ، يبكي في
 حرارة .

.. .. .

أمت صفية الى الاسكندرية ، لن تبقى هكذا ، كما كانت تنتظر
صالح أن يأتيها ، لقد قال أنه يحبها ، فلا يجب أن تتركه .
أحسنت أنه في حاجة اليها ، لأبد أن تحميه . لن تتركه لاميعة .
ولا لغيرها .
قبلتها أمه :

— كيف حالك يا ابنتى . انك تذكرينى بالايام السعيدة .
سارت الى حجرة الاب ، الذى لا يترك السرير الا لماما .
ارتمت على صدره :

— عمى مجاهد .
فوجئ بها . أحس أنه يحلم بعلى منصور . وان ابنته — تلك —
جزء من الحلم :

— أهلا بك يارائحة الاحباب .
أخرجت من حقيبتها الفصل المنشور من مذكراته بالمجلة . وصورة
له وهو يرفع يده لأعلى .

تابعت المرأة صورة زوجها باعجاب شديد . قال مجاهد :

— اقترئى يا ابنتى . ما عدت قادرا على القراءة .
قرأت له ، ثم قالت :

— متوقعة أن تثير المذكرات جدلا شديدا .

كان صالح يراقب هذا كله فى صمت .

خرجوا من حجرة الاب ، وذهبت الام لاعداد الطعام . قالت
صفية :

— اشتقت لك يا صالح ، لم أهد أطبق فراقك .

— ماذا أفعل . وانت فى القاهرة ، وأنا فى الاسكندرية .

— لو شئت ، لعشت معك هنا ، فى الاسكندرية .

— والصحافة ؟ أم تريدان أن تضحى بها من أجلى .

— لا . أستطيع أن أبقى فى الاسكندرية ، وأرسل المجلة .

أحسنت الام أن فى الامر شيئا غير عادى بين ولدها وصفية .

زفرت بضيق ، ليس من المعقول أن يرتبط ابنها بها ، انها ليست
جميلة ، كما انها اكبر منه

— أريد أن أشاهد الاسكندرية .

.. .. .

بقى معها طوال النهار . كانت تتشبث بيده بطريقة غريبة .

جلست معه فى محل عام ، نظرت الى عينيهِ طويلا :

— طوال عمري لم اتمن من الرجال سواك .
ابتسم :

— انت لا تعرف ما فعلته بى بعد آخر زيارة لك فى القاهرة ، غيرتنى
تماما ، تصور ، كل زملائى فى المجلة يسألون عما حدث لى ، زميلة
لى قالت هامة « أستطيع أن أقول أنك ستخطبين عن قريب » .
— الزواج ثانية ؟

— الزواج لم يؤرقنى أبدا . كل ما يهمنى أن تحس بى .
وضعت يدها فوق المائدة ، داست على يده بأصابعها . ونظرت
اليه ، تقلصت عضلات وجهها حتى بدت كامراة أخرى . ازداد
وجهها احمرارا .

— صفية ، ماذا تفعلين ؟

— أعادت يدها الى حجرها :

— آسفة ، لا شئ .

ضحك قائلا :

— تعبير وجهك كان غريبا .

— لا أعرف كيف فعلت هذا .

— أريدك أن تفعلى هذا ثانية .

— أحست بالخجل . أمسكت حقيبتها وقالت :

— هيا . . حتى أستطيع أن الحق بالقطار .

نظر فى ساعته وقال :

— بقيت ساعة على ميعاد القطار .

— هيا نسير معا ، ثم ننتظره فى المحطة .

— أريدك أن تفعلى ما فعلته ثانية .

ابتسمت فى حياء وقالت :

— هيا يا صالح . ولا تحدثنى عن هذا ثانية .

— سارا معا ، شدت على يده ، قبل أن تدخل القطار وقالت :

— سانتظرك هذا الاسبوع ، لا تتأخر .

.....
ما الذى يحدث ؟ انه لم يقصد بما فعله معها فى فيلتها ، أن ترتبط
به هكذا .

عندما دخل صالح باب الشقة ، قالت الام هامة :

— لماذا تأخرت . أمينة وزوجها فى الداخل .

دخل الحجره .

— اهلا بكما . آسف على تأخيري .

قال يسرى :

— لقد جئنا لنخبرك ان أمينة قد عادت الي بيتها .

نظرت هي الى الارض خجلى . قال :

— طبعاً . ليس لها سوى بيتها .

— لقد اقتنعت بما فعلت .

نظر صالح اليها في دهشة ، لم تنظر نحوه . أحنت رأسها أكثر .

ضحك صالح في أسى ، ردد لنفسه « الكل باطل » .

قال يسرى :

— لقد رأت أمينة بنفسها التغير الذى حدث في حياتنا . لقد

دهشت عندما دخلت الشقة كل شيء فيها قد تغير ، الاثاث ،

الثلاجة .. الخ .

كلما تحدث زوجها ، تزداد انحناء رقبته . ويرداد وجهها

احمراراً .

— والاكثر من ذلك السيارة التى آتت بها . هل تظن اننى كنت

سأشتري سيارة وأنا في الجيش .

أراد صالح ان يقول : ان المدة قصيرة جداً ، لتحقيق هذا كله

ولكنه أحس بسخافة قوله ، فصمت .

تحدث يسرى القاضى كثيراً عن الصفقات التجارية التى يجريها

مع عملائه في أمريكا وإيطاليا واليونان ، وصالح شارد . وأمينة تعبت

من انحناء رقبته ، فنظرت الى الناحية الأخرى صافحهم صالح

وهو شارد . لقد اكملت أمينة بقبولها العودة لزوجها ، على هذا

الحال ، الدورة .

تذكر صفة واصرارها على الوقوف في وجه زملائها في المجلة ،

ووجه رئيس التحرير الذى لا يقبل سوى المقالات الخفيفة والتافهة

التي تداهن وتناقض الحكام .

ألم تضعف صفة — هي الأخرى — عندما أعربت عن رغبتها فيه ،

وهما جالسان في المحل العام .

اذلك ضعف أم قوة ، لقد فعلت ما لا تقدر على فعله الإخريات .

انها رغبت فيه ، ولم تخف هذا ، كان صحتها طوال هذه المدة هو

الضعف .

ماذا لو تزوج صفة ، حتما سيحل مشكلته ومشكلتها .

أجل . فأمينة سقطت تماما ، انحناء رقبتها م التي كانت تغريه ،
وتجعله ينظر اليها برغبة ، حتى ان يعد الشعيرات القليلة المنسدلة
فوقها . لم تعد تهمة الان بل أحس بالضيق من رؤيتها في ذلك
الوضع .
أحس انها ممثلة أكثر من اللازم ، أول مرة يحس بهذا
الاحساس .
أجل . سيتزوج صغية .

فتح الباب بمفتاحه ، ملك تجلس وشحانة امامها ، يلعبان الورق .
لم يحييهما . دخل حجرته ، رمى حقيبته هناك ، وقفا . اسرعا الى
المطبخ لاعداد الطعام له .
لقد بدأ أبو الوفا يخاف شحانة . لا يستطيع ان يوبخه ، اذا كانت
ملك موجودة .

اذا انفرد به ، يصيح فيه ، يود لو قتله وارتاح .
لهذا يخافه شحانة . اذا ما ذهبت ملك الى الكلية ، ويكون أبو الوفا
في البيت ، يظل شحانة مختفيا في المطبخ ، ينتظر ملك قلعا . لا يخرج
منه الا اذا دعاه أبو الوفا .

اراد شحانة ان يقوم ، خوفا من أبي الوفا ، ولكن ملك صاحت فيه :
- اجلس ، واكمل لعبك .

جلس غير مرتاح . ينظر من وقت لآخر الى حجرته في خوف .
مد أبو الوفا ساقيه ، لو تعلم ما حدث له في الشركة . ماذا لو
علمت . لقد تغيرت ، وربما عادت تهتم .

لو كان هذا في الماضي ، لاسرعت اليه ، ووضعت راسه في صدرها .
لقد انهار امام العاملين في الشركة ، الى اى مكان يذهب . طرده
من الشرطة . ماذا سيفعلون له ثانية ، أنه يود لو جمع كل العاملين
في الشركة ، ويقبلهم ويحقق لهم ما يريدون ، ولكنه لا يقدر عجزه عن
فهم ما يفعلون هو الدافع الى تصرفاته تلك
الولد صالح ، لا بد من ان يبعده عن الشركة . لو بقى يوما واحدا .
سينهار كل شيء .

سيجعل العاملين هناك يطمعون فيه ، ويهينونه مثله .

لا بد من مقابلة علوان باشا . حتى يساعد في نقله .

يعلم ان علوان باشا ما عاد يحتمله - ولكن لا بد ان يفصل هذا
الولد ...

ينقله - المهم ان يذهب عن الشركة . انه آخر طلب سيطلبه منه .
.....

سارت سيارته فى شوارع الاسكندرية ، كان يهذى السرعة ، اذا ما رأى امرأة وقتاة تلفت نظره ، كثيرا ما ركبت حسناوات بجواره .
الان يتقاعدن عنه .

لقد نسى علوان افضال أخيه عليه ..

حدث ملك من أخيه كثيرا ، قال لها عن ظروف مرضه (عندما تزوج أبو الوفا ملك ، لم يكن أبوزيد قد مات ، كان يعانى مرضا ، لم يعرف الأطباء نوعه . كان يصرخ طوال الليل ويهذى ، أكد الأطباء ان أعضاءه ليس بها مرض .

فى الصباح . يتحدث أبوزيد مع أطبائه فى السياسة ، وما يجب أن يفعله رجال الثورة حتى يسيطروا على الشعب .
حكى أبو الوفا لملك عن بعض أهالى القرية . قال لها عن أبيه .
انه أيضا كان يهذى قبل أن يموت .

أحقيقة أنى مجنون ، أنى أصدق هذا أحيانا . فذهابى الى الطبيب النفسانى ، دليل على اعترافى بأنى مجنون .
قال محمود اننى جنتت ، وايضا بعض زملائى فى الشرطة قالوا هذا ...

... ..
ايكون الجنون وراثة فى عائلتنا : أبى ، ثم أبوزيد ، وانا الان ..
وربما اسماعيل لو عاش .

سأله الجندى الذى يقف امام بيت علوان باشا عن مقصده لم يجد ما يقوله ، دفع الجندى وسار ، صاح الجندى فيه :
- يا حضرة . يا حضرة .

أحسن الجندى - من تصرفاته - انه شخص هام ، فتركه يصعد الدرج ..

فتحت الشغالة الباب ، أغلقت الباب ثانية - وهو فى الخارج .
انت الزوجة مرحبة :
- أهلا أبو الوفا . تفضل .

تعرفه المرأة منذ ان كان زوجها ضابطا صغيرا ، كانوا يسهرون معا . هى وزوجها ، وهو وعزيرة زوجته التى ماتت .
- تفضل * سأخبر علوان بقدمك .

جلس فى حجرة الصالون ، ذهبت الى زوجها ، قالت مبتسمة :
- أبو الوفا حسنين فى الصالون ..

— لماذا لم تقولي له اني غير موجود .
فوجئت المرأة بقوله :

— لماذا ، انه صديق قديم .
ضاق علوان به :

— لقد جن . وأنا لا أستطيع احتماله . لقد قطعت من أجله الكثير ،
نظير خدمات شقيقه أبو زيد لي .

وقف الرجل مضطرا وسار اليه :

— أهلا أبو الوفا .

لمس يده بأصابعه .

— تفضل بالجلوس .

— آسف لهذه الزيارة المفاجئة .

— لا . . .

كاد يقول — كما كان يقول قبلا — « تفضل في أى وقت » . لكنه
لم يستطع .

— خير ؟

— خير يا باشا . أشكرك على كل ما قدمته لي .

— ماذا حدث ثانية ؟

قالها الرجل مقاطعا وفي ضيق :

— موظف ، لا أريده في الشركة .

وقف علوان ، أحس بتفاهة مطلبه . يأتى اليه ويقلقه في البيت
من أجل نقل موظف !؟

— سأحدث رئيس المؤسسة لينقله .

أعطاه ورقة :

— أكتب اسمه .

كان وقوف علوان اعلانا بانتهاء الزيارة .

أسرع أبو الوفا الى سيارته . أراد أن يبتسم ، وأن يحس بأنه
انتصر . لكنه لم يقدر .

ماذا سيحدث بعد أن ينقل صالح ، ماذا سيفعل مع ملك التي
تهرب منه بلهابها الى الكلية . ويحدثها الدائم مع شحاتة العجوز .

اتصل علوان باشا برئيس المؤسسة :

— معدرة ، فانا أثقل عليك .

— أأمر باشا .

— أبو الوفا حسنين ، الذى أرسلته لك ، ليرأس شركة كيماويات .

أثارت المذكرات التى تنشرها مجلة الإصلاح ضجة كبيرة .
 فقد اتصل رئيس التحرير بصفية ليخبرها بهذا .
 - أجل . لقد وصلتني رسائل بخصوص المذكرات .
 - زملائي هنا - فى المجلة - يتحدثون عنها ، وقرأت بعض المقالات
 منها فى الصحف .
 - ولكن ، جاءتني رسالة من سفير فى وزارة الخارجية
 وقف المذكرات .
 - لماذا ؟
 - لأنها تسيء الى والده ، وقالت المذكرات هته انه كان معيلا
 للانجليز .
 - وماذا ستفعل ؟
 - لن أسأل فيه ، لو اتصل بى . سأقول له أن يكتب ردا بما يريد
 أن يقوله . وسأشره له .
 - أجل .
 لم يذهب صالح الى العمل بالامس . قضى اليوم كله مع صفية .
 عندما طلبت منه أن يبقى معها ، ولا يذهب الى العمل . أحس
 أنها قد أثقلتته ، فهو لا يرغب فى الذهاب ، ويريد أى سبب حتى
 لو كان تافها ، لكى لا يذهب .
 كل يوم يذهب ليحتسى القهوة والشاى . ويتحدث مع عبده
 رشوان و ابراهيم زيدان ، ثم تحملهم السيارة ثائية للعودة .
 العمل متوقف . منذ أن أتى أبو الوفا .
 دخل صالح باب الشركة . أحس أن الخفراء والموظفين - على
 البوابة - ينظرون اليه نظرات غير عادية . وأحس أنهم ، تهامسوا
 بعد أن سار بجانبهم .
 قابله عبده رشوان حزينا :
 - ألم تعلم بما حدث ؟
 - ماذا ؟
 - لقد نقلتك المؤسسة .

— نقلوني انا !

— أجل . الى شركة ورق . تابعة للمؤسسة .
أمسك يد عبده :

— هيا الي مكتبك .

— اذهب وقابل رئيس المؤسسة ، ربما .
قاطعه قائلا :

— ربما ماذا ، أبو الوفا لو اراد نقل رئيس المؤسسة نفسه ،
سينقله .

دخل صالح حجرته ، عليه الان ان يجمع كل ما يخصه في الشركة .
هكذا فعل منذ سنوات — عندما فصلوه من الكلية الحربية .

لقد اطاع رئيس المؤسسة ، ووافق على ترك كليته ، من أجل
المشروع . سيوفر على الدولة عملات صعبة كثيرة ، ماذا أخذ ،
لا شيء . على الاقل لو بقى في الكلية ، لاستطاع ان يكمل أبحاثه .
وما فائدة الأبحاث الان ، مادامت لا تنفذ .

بكى بعض الموظفين وهم يقبلونه :

— لقد تركتنا لهذا الوحش .

— ربنا اكبر من الجميع .

ركب سيارة الشركة ، لخصله الي بيته

.....

سافر الي صفية :

— ستبقى معي ليلتين ، كالمرة السابقة ؟

— لو شئت لبقيت معك العمر كله .

— ألحبتني لهذا الحد ؟

— لا تتسرعى . ليس من أجل الحب . انما لانى بلا همل الان .

— كيف ؟

— نقلوني الي شركة ورق ، ولن انفذ النقل .

— معقول ؟

— ذهينا من هذا . اريد ان اذهب الي الفيلا .

في السيارة ، وضع يده فوق يدها قائلا :

— لقد نويت أن أتزوجك .. ولكن موضوع النقل هذا ..

— أنت متشائم للغاية ، يمكنك أن تعمل في الكلية ثانية . او في

اي كلية علوم . فهناك كليات كثيرة الان .

– ألم أحك لك عن رئيس القسم الذى سرق أبحاث معيدة عنده .

– ولو . يحدث فى المجلة – التى أعمل بها – أكثر مما يحدث فى شركتك ، وفى الكلية ، ومازلت باقية .

– دعينا من هذا الحديث .

– اننى أحبك يا صالح . فلا تجعلنى أمتهن نفسى لذلك . كيف ؟

– أحبك ، رغم علمى أنك سلبى وضعيف .

– ماذا تقولين ؟

– أجل . يجب أن تقاوم ، ولو كانت النتيجة لغير صالحك .

•••••

لم يحس صالح – فى المرة السابقة – بما يحسه الان :

– صفية ، اننى لا أدخن ، ولا أتعاطى مخدرات ، أو خمرًا ، جسدك

هو سجانى وخمى ، فيك انسى أحرانى .

ضربته فوق كتفه قائلة :

– لا تتحدث عنى بهذه الطريقة .

رأى نظرة عينها ، وتقلصات عضلات وجهها . التى أدهشته بها

فى الكافتيريا – رأها آلاف المرات .

لم تذهب فى اليوم التالى الى العمل . ظلت بجواره على الفراش .

أخذت تداعب خصلات شعره . ودق التليفون . صاحت :

– نسيت أن أحضر التليفون من الدور الارضى . سأذهب وأتى به .

كان المتحدث هو رئيس تحرير مجلة الإصلاح .

– آلو . اتصلت بك فى المجلة . قالوا أنك لم تات اليوم .

– خير ؟

– آسف جدا . لن أستطيع أن أكمل نشر المذكرات .

– لماذا ؟

– تدخلت سلطات أعلى وأمرت بوقف النشر .

صاحت غاضبة :

– كيف هذا ؟

– السفير اتصل بجهات عليا واثروا عليها .

– على أى حال . لن ينفع التفاهم بالتليفون . سأحضر اليك بعد

ساعتين .

أسرعت إلى صالح ؟ قالت له عما حدث . ضحك :

• ذلك أمر طبيعي •

• يقولون أن التاريخ ، لا يكون صادقا الا اذا مات الذين يتحدث عنهم • حتى لا يؤثروا على الحقيقة • انما الان لن يكون التاريخ صادقا ابدا • فمن سيتكلم عنهم لهم أبناء وأحفاد • سيظلون يدافعون عنهم لعشرات الاجيال ، ولنهم سيظلون مهمين مثل اجدادهم •
• الذى يدهشنى الان • ليس منع المذكرات • انما اصرار رئيس تحرير مجلة الاصلاح على موقفه السليم لان •
• اذهب الى الحمام مسرعا • سأذهب الى رئيس التحرير واتفاهم معه •

• أنت واهمة •

ركب السيارة بجوارها ، كانت غاضبة ، تحاول أن تسرع ، رغم انها تعلم أن رئيس التحرير سينتظرها ، كانت تتعجل لقاءه ، تريد أن تحدثه •

قال صالح :

• صفيه ، اقبلينى زوجا ، رغم البطالة التى انا فيها الان •
• ذلك أيضا ، دليل يأس • تريد أن تهرب حتى من التفكير فيما ستقوله لرئيس التحرير ، دفاعا عن مذكرات أبيك •

•••••
افرجت وزارة سعد زغلول عن المسجونين السياسيين فى عام ١٩٢٣ •

خرج فى هذا الافراج حمدى شعراوى ، وأحمد صابر ، المتهمان فى قضية القاء القنبلة على عربة السلطان حسين كامل بالاسكندرية •

•••••
ذهب حمدى شعراوى عقب الافراج عنه الى بيت خاله ، قابله خالة بترحاب شديد :

• أهلا حمدى ، كيف حالك ؟

• بخير •

• لقد شرفتنى • فى كل مكان أحكى عنك ، مدير المنطقة ، الذى اجلس امام بابيه • قال لى وانا اقدم له الشاى « ابن اختك بطل » • ولكن زوجة خاله ، لم تحسن استقباله ، لم تحدثه سوى كلمتين لا اكثر • فقد تزوجت خضرة منذ خمس سنين ، أم كان يظن انها ستنتظره ، وحتى أن لم تتزوج • ما كانت ستسمح له بزواجها •
• اتزوجها « لرد سجون » •

— خالى . الحجرة التى كنت مستأجرها . . .
كان ينظر فى حياء الى الارض ، قال خاله :
— لا تهتم ، عش معنا كما كانت ، الى ان تجد لك مسكنا .
زفرت الام بصوت مرتفع ، سمعه حمدي ، صاح بها الخال
غاضبا :

— قومى . جهزى الحجرة لحمدي .
فى الصباح ، حمل متاعه . صاح به خاله :
— الى أين ؟
— سآزورهم فى البلد ، وسآعود اليك ثانية .

ركب قطار الصعيد ، ثماني سنوات قضاها فى السجن . هو
وأحمد صابر ، لم يزره فيها سوى بعض أعضاء جمعية التضامن
الاخوى . وأبوه وأمه . وخاله مرات قليلة .
سيحاول أن يجد عملا . معارفه كثيرة ، أعضاء الجمعية ، بعضهم
وصل الى مناصب كبيرة جدا . لاشك ، لن يخذلونه .
زوجة خاله لا تحبه . لهذا لن يبيت لديها ثانية .
لم تصدق أمه نفسها . أسرعت اليه . قبلته . وبكى الاب فرحا :
— الحمد لله .
صاحت الام :

— لم تكن نصدق انك ستعود ثانية .
أحسن بأن حالتها فى سوء . باع الاب نصف قيراط ليسدد ديونه .
وباع قرط أمه الذى ورثته عن أمها . وكانت تعترض به . وأيضا ، نحاس
الطهو الذى أتيا به من أسبوط .
قال حمدي لهما :

— لا تحملا هما ، سآعمل فى القريب ، وسآرسل لكما مبلغا من
المال شهريا .

قابل مجاهد عبد الراضى فى ورشته :

— نورث الهماميل ياحمدي .
— نورث بناسها يامعلم .
— لم تعمل للان ؟
نظر حمدي الى البيت المقابل للورشة . والذى كان يسكنه قبل
أن يسجن .

- المشكلة ، اننى لا اجد مسكنا .
 - هذه ليست مشكلة . اى فرد من اعضاء الجمعية عزبا ،
 ستنام عنده .
 - لا استطيع ان اكون عالة على احد .
 دس مجاهد فى يده مبلغا من المال . احمر وجه حمدى :
 - لا يا معلم . لا اريد مالا
 - نحن اخوة .
 ولكنه اصر الا ياخذ مالا .

.. ..
 زار حمدى أحد اعضاء الجمعية ، فى المحكمة ، فقد اصبح الآن
 قاضيا .

- اهلا حمدى ، كيف حالك ؟
 - آسف لاننى زرتك فى المحكمة . اننى لم أعمل للآن .
 - عيب يا حمدى . انا أفديك بروحى . سأعطيك رسالة الى
 صديق يعمل بوزارة الصحة وبإذن الله ستعين هناك .
 - أشكرك . سأزورك فى البيت بعد ذلك . حتى لا أسبب لك
 ضرا .
 - أنا فى انتظارك ، فى اى وقت ، وفى اى مكان . هنا ، فى البيت ،
 كما تشاء .

.. ..
 يقف انجرام شامخا ، وابوزيد امامه ، قد وصل ابوزيد الى رتبة
 قائمقام ، يتحدث انجرام مبتسما :
 - ماهى اخبار حمدى شعراوى ؟
 - اننى ارصده ، أعد عليه خطواته . لقد حصل على رسالة من
 صديق ، ليعمل فى صحة الاسكندرية .
 اسرع الى التليفون ، ادار القرص :
 - الو . انا ابوزيد حسنين . اهلا . أريدك ان تحدث مدير صحة
 الاسكندرية . لان يمنع تعيين حمدى شعراوى . أجل . اذهب اليه
 بنفسك . وقل له ما تريد . المهم . اريده بلا عمل مدة طويلة .
 ضحك انجرام بصوت مرتفع

- يشد أبو الوفا « ملك » اليه ، انها مستيقظة تتصنع النوم :
- ملك . ملك .
- تشعر الان بالتقزز من وجوده بجوارها :
- ملك .
- أشاحت بيدها :
- أشعر بملل . أريد أن اتحدث اليك .
- فتحت عينيها ، قالت في ضيق :
- تحت أمرك .
- لم يجد رغبة في القول . انها تعامله بقسوة ، تسخر منه .
- لا يدري كيف تغيرت هكذا ، كان يظن انها لن تتغير أبدا . أجل .
- لقد غيرها ذلك المجوز شحانة . قبله . لم تكن تفعل هذا .
- لقد نقل رئيس المؤسسة صالح مجاهد .
- من صالح هذا ؟
- دكتور كيماي كان يضايقني في الشركة .
- أومات برأسها . انه أول مرة يحدثها عن الشركة .
- ماذا فعلت في الكلية ؟
- خير .
- مارايك لو خرجنا الان بالسيارة . تجلس في أي مكان .
- صاحت في دهشة :
- الان ؟! اننا بعد منتصف الليل .
- أجل . لا أجد رغبة في النوم . أخاف من الكوابيس التي تطاردني .
- صاحت في ضيق :
- لكنني أريد أن أنام .
- أعرف مطعما عظيما يسهر للصباح .
- أرجوك . لدى محاضرة في الصباح .
- نظر اليها في أسى :
- نامي يا ملك . سأذهب لاجلس في الفراشة .

لم تنظر اليه ، عادت ثانية الى النوم . سمعت حركات قدميه وسعاله .

.....

أحس برغبة فى الذهاب الى الشركة . يريد أن يراها بلا صالح . يراها بعد أن انتصر .

أحس أن وجوه عمال البوابة تتباعد عن رؤيته . حياهم (لأول مرة منذ أن عمل بالشركة) .

— أهلا بكم .

تأخروا فى الرد عليه ، ربما لان المفاجأة ألجمتهم . أو لغضبهم منه ، لانه نقل صالح .

ابتسم ، صاح خفير فى دهشة :

— لقد رأيتك يبتسم .

ابتسم لأول موظف قابله :

— صباح الخير .

جمع كل العاملين فى المشروع ، كان يبتسم ، قال :

— هاتوا شيك المرتبات ، سأوقعه الآن أمامكم . ونبدأ معا عهدا جديدا ، اننى أعرف الكثير من المسئولين ، وبتصالاتى سأسهل لكم كل شيء .

الكثيرون . ابتسموا فرحين .

.....

مد ساقيه فى استرخاء . وحده الان فى المكتب .

والصراف ذهب الى البنك ليصرف شيك المرتبات ، سيحاول أن يفعل ما قاله لهم . أجل ليثبت ملك انه قادر .

أحس برغبة فى النوم . لقد مكث فى الفراشة حتى الصباح . لم ينم دقيقة واحدة . كلما اقترب النوم من عينيه ، قاومه ، خوفا من الكابوس الذى يطارده كل ليلة .

شقيقه أبوزيد لم يتزوج . مات عزبا . ليت له فعل مثله .

لو لم يتزوج عزيزة . ما كان أتى بإسماعيل الى هذه الدنيا . وما كان إسماعيل عذبه بموته .

أبوزيد كان أكثر حكمة منه . أدرك موضوع الجنون المتوارث فخاف أن يورثه لأبنائه اذا تزوج .

كان ينتقل من مكان الى مكان ، لديه شقة فى كل محافظة ، يأتيه رجال الآداب بالنساء ليختار منهن من يشاء . وكان يختار .

يقولون انه لم يرتبط بأية علاقة عاطفية ، لم يصباشر سوى
الساقطات .
كان اكثر واقعية منه . المرأة تأتيه وهى تعلم انه يعرف تاريخها
الساقط ، لهذا ، لن تكذب عليه بكلمات الحب . أراح قلبه من
التعلق بواحدة .

.. ..
قال انجرام الانجليزى ، الداهية ، لابی زيد :
- انك تلميذى ، ولكنك فقتنى فى موضوع حمدى شعراوى .
انجرام مشغول بمتابعة بعض الاوراق ، ابوزيد يقف بجوار النافذة .
حمدى شعراوى ما زال يكابر للآن . لم يات صافرا .
اتصل ابوزيد بالتليفون :

- انا القائمقام ابوزيد حسنين . أريدك أن تتابع موضوع أحمد
صابر . الذى كان مسجوناً مع حمدى شعراوى ، وأفرج عنهما معا .
أجل . ان لم يكن قد توظف . اسع لتوظفه فى عمل هام . اسمع .
يجب أن يكون الراتب كبيراً بعض الشيء .
لم يسأله انجرام عما يقصد . فقد كان مشغولاً بالاوراق .

.. ..
يضطر حمدى أن يزور خاله - أحيلاً -
ملابسه متسخة . ولا يجد من يفسلها له .
انه يسكن مع شاب « أعزب » من شباب الجمعية . أراد الشاب
أن يأخذ ملابسه لتفسلها له « الفسالة » التى تأتيه مرة فى الاسبوع .
ولكن حمدى لم يوافق . يكفى انه يحتمله فى حجراته .
صاح خاله :

- أهلا حمدى ، كيف حال أهلك فى الصعيد ؟
- بخير ، انما اتيت لان ملابسى اتسخت ...
اسرعت زوجة خاله بالقيام ، قبل أن يكمل حمدى حديثه . صاح
الخال غاضباً فيها :

- خذى الملابس من حمدى واغسلها .
أخذت المرأة الملابس دون أن ترد . ثم ذهبت الى الحجرة الأخرى :
- لم تجد عملاً للآن ؟
- كلا .

- حدثت مدير المنطقة منذ اسبوع . رغب كثيراً فى أن يجد لك
عملاً . ولكننى فى اليوم التالى ، فوجئت به يرفض . ولا أدري

ما الذى غيره .

- لا أدري أنا أيضا . لماذا يحدث هذا .
- لا تهتم ، ستجد عملا بأذن الله .
- أخرج الرجل مبلغا من المال ودسه فى يده :
- خذ هذا المبلغ .
- لا ياخال . أنت لديك أطفال كثيرون .
- خذ يا ولد ، وردده بعد أن تجد عملا .
- حمد ربنا لأن زوجة خاله لم تره وهو يأخذ النقود .

.....

ذهب الى مقهى « البراميد » فى المشية . قابل هناك مجاهد
عبد الراضى وعلى منصور ، وبعض أعضاء الجمعية (من مجموعته)
قال مجاهد ، قبل أن يصل حمدى اليهم :

- حمدى ، حالته أصبحت صعبة .
أجاب على :
أجل :

اقرب منهم ، حالته الصعبة تلك ، جعلته أكثر هدوءا :

- السلام عليكم .

أجلسوه بينهم . قال على منصور :

- لم تجد عملا الآن ؟
- كلا .

صاح مجاهد :

- أحمد صابر عينوه فى مجلس النواب .
- لا أدري ما أفعل . الاسمار فى ازدياد . وأنا لا أجد مليما .
أخرج مجاهد مبلغا من المال وأعطاه له .
أراد أن يمتنع كالمرءة السابقة ، ولكن حاجته للمال جعلته يقبله
صافرا .

قام فجأة ، قال على منصور :

- أجلس حتى تشرب الشاي .
- شكرا ، سأذهب لأشترى طعاما ، لم أتناول الطعام منذ
الصباح .
قال على :

- يجب أن تبحث الجمعية حالته . اقترح أن نجمع له مبلغا
تسهييا .

عندما زار خاله ، لاخذ الملابس التى غسلتها له زوجة خاله ،
وجد رسالة من ابيه ، يلومه فيها لانه لم يرسل له ما وعد به .
حمل الرسالة والفسيل وخرج .

لم تطلب منه المرأة أن يبقى حتى يعود خاله . واحسنت بالراحة
لانه لم يتزوج ابنتها .

بكى وهو سائر ، والده يريد منه مالا ، وهو لا يجد ما يأكل به .
كان يود لو وجد خاله ، فربما أصر أن يبقى ليتناول الغداء معه .
... ..

بعد أن كان يرفض أخذ مساعدة من مجاهد . يذهب اليه الان
ليسأله عن مبلغ يتناول به غداءه .

يشعر بالحياء ، كثيرا اذا ما ذهب الى الحجرة (التى ينام فيها) فيجد
صاحبها يتناول طعامه ، يحاول أن يعود ثانية ، ولكن صاحب الحجرة ،
يدعوه لتناول الطعام ، ويصر ، يرفض حمدى ، فهو يعرف انه مازال
طالباً ، وينتظر ما تدفعه له أسرته كل شهر .

أحيانا يشاركه الطعام . وأحيانا يدعى انه تناوله فى الخارج -
وينام جائعا .
... ..

بينما كان يستريح من عناء السير ، فى إحدى الحدائق العامة ،
وجد مجموعة من رجال الشرطة تحيط به :

- تسمح .

أشاح يده ، لم يعد يطبق ذبابة تقف فوق وجهه :

- ماذا تريدون ؟

- أن تأتى معنا الى قسم الشرطة .

- لماذا ؟

- لنتحرى عنك ، منظرنا وملابسك تجعلنا نشك فى أنك متشرد .

أو لص . أو ...

سار معهم .
... ..

استدعاه جندي من حجرة الحجز . دفعه فى عنف . سار أمامه
حتى حجرة المأمور . وجد أبوزيد فى انتظاره :

- لا حول ولا قوة الا بالله ، من فعل بك هذا ؟!

تظاهر بعدم معرفته :

- ماذا تقصد ؟

- أقصد أنك كنت أحسن حالا ، من هذا الوضع بكثير .
لم يجبه ،
- أجلس .

نظر حوله ، خرج الأمور ومن معه . وتركوهما وحدهما :
- لعلك لم تتناول طعامك منذ الصباح .
- لا أريد طعاما .

صفق يديه ، دخل جندي . صاح فيه أبو زيد :
- أعدوا لحمدي وجبة عشاء كاملة .
أراد أن يصرخ بأنه لا يريد طعاما منه . ولكنه كان جائعا للغاية :
- لم تعمل الآن ؟
- كلا .

- لماذا ؟

- لست أدرى .

- هل حاولت .

- كثيرا .

- لماذا لم تأت لي لاساعدك .

لم يجبه ..

- لقد قلت لك هذا أكثر من مرة . لو أتيت لعينتك في اليوم التالي مباشرة ، وفي الوظيفة التي تختارها ، ما رأيك ؟ أى وظيفة تبغى ؟
ضحك أبو زيد ، قال :

- لا بأس ، إذا احتجت شيئا ، تعال الي ، وسأعاونك .

بعد أن استدار حمدي ليسير . قال أبو زيد :

- الآن تنتظر العشاء ؟

- كلا .

- اهتم بملابسك ، حتى لا يرتاب فيك رجال الشرطة ثانية .

لم يجبه ..

الخميس ٢٠ نوفمبر ١٩٢٤

في الساعة الثانية بعد ظهر الاربعاء ١٩ نوفمبر ١٩٢٤ ، وبينما كان « السير لى ستاك » سردار الجيش المصرى ، وحاكم السودان ، عائدا في سيارته من مكتبه بوزارة الخارجية ، قرب شارع قصر العينى بالقاهرة الى مسكنه بالزمالك . اطلق عليه الرصاص خمسة اشخاص ، كانوا متربصين له في سيارة بشارع الطرقة القريبى .

اصيب السردار اصابات بالغة ، كما اصيب ياوره البكباشى كمبل . وسائق سيارته وجندى آخر .

وقد توفى السردار متأثرا بجراحه في منتصف ليل يوم ٢٠ نوفمبر عام ١٩٢٤ . .

استدعى رئيس تحرير مجلة (العهد السعيد) صفية ، أعاد اليها مقالا ، أرادت نشره بالمجلة ، قائلا :

- آسف يا عزيزتى . مجلتى لا تستطيع احتمال مقال مثل هذا .
- لماذا ؟

ضحك فى استخفاف :

- انت تعرفين السبب .

- لا أعرف ، صدقنى . المقال يتحدث عن تحكم بعض الناس فى كل شيء . حتى فى الصحافة وذلك بمناسبة رفض نشر مذكرات مجاهد عبد الراضى فى مجلة الاصلاح .

- لهذا ، لا أستطيع نشره ، انت تقولين انهم يتحكمون فى اختيار القيادات التى تتصل بمصالحهم .

- أجل . وقلت انهم يتحكمون فى الاعلام وفى البرامج التى يشاهدها أو يسمعها الناس حتى يداع ما يريدون . وما يدافع عن مصالحهم .

- انت زميلة قديمة ، وأعرفك جيدا ، وتعرفيننى جيدا . وكان المفروض الا تأتى به الى ، فمن الممكن أن أوافقك على رأيك . ولكن لا أنشره لك ، فانا أخاف على هذا المقعد .

- أعرف مدى حرصك عليه .

- أنشره فى أى مكان آخر ، بعيدا عنى .

- أجل . سأنشره ولو فى مجلة حائط .

وقالت ساخرة :

- بالمناسبة ، ماذا فعلت فى موضوع البنك الذى تنوى اقامته مع أصدقائك الفرنسيين ؟

رغم علمه أنها تسخر منه ، قال :

- ما زلنا نبحث عن المكان المناسب

أسرعت بسيارتها الى مجلة « الاصلاح » كانت تود ان ينشر المقال بمجلة العهد السعيد التى تعمل بها ، لأنها واسعة الانتشار ، بينما مجلة الاصلاح ، فقيرة وقراؤها محدودون .

يجب أن تضع حدا لعلاقتها برئيس تحرير مجلة العهد السعيد هذا . انه لا ينشر لها الا المقالات التى لا تضره (على حد قوله) ، ولكنها فى حاجة الى الراتب الذى تتقاضاه من المجلة . أبوها « على

منصور » ، رغم المناصب الهامة التي ارتقاها ، لم يترك لها سوى الفيللا وأثاثها . ولكنه كان ممتازا . لقد ورثت عنه العناد والاصرار . عندما جاء شرطيان ليقيفا أمام باب الفيللا ، للحراسة ، أو التشريفة . لم يرض بذلك . أرسل اليهما طعاما وشرابا ، ثم قال لهما : - لست بحاجة لحراسة .

وعندما أحس أن رجال الثورة قد أساءوا التصرف ، لم يخف ، وأرسل اليهم قائلا :

- عودوا الى ثكناتكم . ودعوا البلد للسياسيين . وجاءت العربات مكدسة بالجنود والضباط . أحاطوا بالفيللا . وحملوهم جميعا (هي وأمها وأبيها) .

كانوا يشهرون بنادقهم في أجسادهم ، رغم أنهم لا يستطيعون فرارا ، ولا يملكون حتى الدفاع عن أنفسهم . قدمت المقال الى رئيس تحرير مجلة الاصلاح ، الذي أمسكه ضاحكا :

- موضوع مثير ، مثل موضوع المذكرات التي أوقفوا نشرها . - أجل .

قرأ المقال ، ثم قال :

- موضوع جيد . سيثير ضجة ، وربما يسبب لك ضررا . - لا أخاف .

- أقصى ما سيفعلونه معي . مصادرة أعداد المجلة . لكن أنت يمكنهم أن يفصلوك من المجلة .

- ولو ...

في الطريق ، توقفت أمام مكتب تليفون عمومي . طلبت نمرة تليفون صالح وجلست تنتظرها ، لولا مشاغلها لسافرت اليه لتطمئن ، فهو لم يأتها منذ أن سافر ، لم يتصل بها ، ولا تعلم ماذا فعل . هل عاد الى كلية العلوم . أم ما زال بلا عمل .

- ألو صالح . أنا صفية ، ماذا تفعل ؟ ضحكت ..

- تقرا ، ما فعلوه بك في الشركة أفادك ، فانت في حاجة فعلا لأن تقرا . ألم تذهب لمقابلة عميد الكلية ، لماذا لم تذهب .. أجل . أجل . ليتك تأتي الى في القد . ما دمت لم تعمل الآن . مع السلامة .

ضحكت وهي تضع قدمها فوق البنزين .. صالح يقرأ . ولا يخرج من بيته تقريبا . جمع الكتب التي لديه ، وأخذ يقرأ .

.. .. .

تلك الايام تذكره بطرده من الكلية الحربية ، كان وقتها
شاعرا بالظلم . وبانه لن تقوم له قائمة . ولكن ايامها . اخفى احزانه
في جسد ميت . كان يشرد طويلا . وتطارده الاحلام المزعجة .

انما الآن ، يحس بانه يريد ان يفعل شيئا .
ايامها ، كان يسخر من حماس صفيه ، ومن حديثها عن الثورة ،
وعن السياسة . كان كل ما يهمه متابعة ثدييها السمراوين ، وهما
يتحركان داخل صدرها .

الآن يفكر في جسدها كله . ويفكر في كل ما تقوله دون سخرية .
لن يذهب الى شركة الورق التي نقلوه اليها . ولن يعود الى الكلية
ثانية . ولكنه لا يدري - للآن - ماذا سيفعل .
ليس من السهل ان يترك المشروع الذي ظل يحلم بتنفيذه سنوات
طويلة . ثم بدأ فعلا في التنفيذ ، الى ان جاء المسمى (ابو الوفا) ،
ليضيح كل شيء .

كان يقرأ في حجرته ، حينما دقت امه الباب :

- امينة وزوجها في انتظارك .

- امينة مرة اخرى ؟!

خرج اليهما ، كان في البيجامة ، وشعره غير منظم :

- اهلا بكما .

نظرت امينة اليه في دهشة :

- دكتور صالح ، ماذا بك ؟

ابتسم وهو يصافح يسرى :

- ليس بي شيء .

- لقد نقص وزنك كثيرا . كما انك غير مهتم بمظهرك .

قال يسرى :

- لقد حزنت كثيرا عندما علمت بما حدث لك في الشركة . واصررت

انا وامينة ان نزورك اليوم .

- شكرا لكما .

- هذه آخره العمل في الحكومة .

لم يجد ما يقوله ، قالت امينة :

- لم ، لم تذهب الى العمل الذي نقلوك اليه ؟

- لن اذهب .

قال يسرى :

- لا تعمل في اى شيء الان ؟

- منظ شفتيه ولم يجب .
- خير ما فعلوه ، خسارة أن تقدم لهم أبحاثك وتعبك .
- ماذا تقصد ؟
- أقصد ، أن أبحاثك أولى بها شركة قطاع خاص وستدفع لك أكثر .
- أحس برغبة في العودة الى حجرته ، ليقرأ ثانية .
- أبدت أمينة لهفة عليه ، رغم هذا ما عاد يحس تجاهها بما كان يحسه من قبل . ملابستها بدت غالية الثمن . ورأى في صدرها ويدبها حلياً ، لم تكن تلبسها من قبل .
- قالت :
- يسرى يريد أن يخدمك .
- حتى أمينة تتحدث الآن عن المشاريع التجارية ، ود لو قال لها « أصمتي » .
- اتفقت مع شركائي ، أن نقيم مشروعاً على البحر للاستفادة من مياه البحر ، لاستخلاص المواد الكيماوية ، وبالطبع سنعتمد عليك في هذا .
- أكملت أمينة :
- أجل . ستكون أنت المدير المسئول .
- وستكون لك نسبة كبيرة من الربح .
- قالت أمينة :
- وستحقق بذلك ما كنت تتمناه في مصنع الحكومة .
- ماذا ترى ؟
- الأم تدخل حاملة أكواب الشراب .
- لم تقل رأبك يا صالح ؟
- لا أستطيع .
- صاحبت أمينة بضعف :
- لماذا يا دكتور ؟
- لن أترك العمل في المصنع الذي أسسته ، وتعبت فيه .
- ولكنهم طردوك .
- ولو يا يسرى ، المصنع الآن متوقف تماماً ، ولن يعود الى العمل إلا بى . لهذا ، سأنتظر حتى أعود اليه .
- نظرت أمينة الى زوجها ، ثم أعادت رقيتها الى المكان المعتاد .
- الانحاء . وصمتت الى آخر الجلسة .

.. .. .

ذهب حمدى شعراوى الى بيت خاله .

خاله ما زال فى العمل . . المرأة لم تقدم له طعاما ، ولا شرابا .
بقى فى انتظار خاله ، رغم علمه أنها غير مرتاحة لوجوده . لم تحدثه
كلمة واحدة .

بعد أن ملت وجوده ، تركته ودخلت الحجرة الأخرى . وتشاقلت
عنه ببعض الأعمال .

عندما أتى خاله ، سأله مبلغا من المال . الى حين أن يجد عملا ،
قال الرجل :

— حاضر يا ابنى .

دخل الحجرة الأخرى ، قال لزوجته :

— معك نقود لحمدى ؟

— سمعها تقول له :

— النقود التى معنا ، لن تكفيننا لآخر الشهر .

لم يسمع باقى الحديث ، أسرع الى الدرج . ثم أسرع الى الشارع .

.....

عرضت الحكومة مكافأة قدرها عشرة آلاف جنيه ، لمن يقدم أى
معلومات تفيد التحقيق فى حادث مقتل السردار الانجليزى « السير
لى ستاك » .

الخيانة

كان انجرام ثائرا ، وابو زيد حسنين امامه :
- قل لى ، ماذا ستفعل الآن ، حمدى شعراوى الذى فرغت
نفسك لمراقبته ، لم يتغير رغم ما فعلته معه . تركت أعضاء الجمعية
يفعلون ما يشاءون ، على أمل أن يوقعهم لك حمدى شعراوى .
لم يجبه ، فهو يعرف طباعه . عندما يكون ثائرا ، لا يحب أن
يقاطعه أحد .

قال أبو زيد لرجاله :

- اثتوا بحمدى شعراوى لى الآن .
ود حمدى أن يتتبع عن الجميع . عن بيت خاله ، وعن كل أعضاء
الجمعية . لم يعد يتمنى رؤية أحدهم .
لقد ألقى القنبلة على عربة السلطان حسين ، كما أمرته الجمعية ،
فماذا نابه من ذلك . لم يستطع أن يخلع ملابسه رغم شدة اتساخها ،
لأنه لا يجد من يغسلها له . زوجة خاله هددت خاله . بأن تترك
البيت وتذهب الى أهلها فى « أبا الوقف » لو أصر على مساعدة
ابن اخته .

كما أن حمدى شعر بالاحراج لوجوده لدى الطالب (عضو
الجمعية) ..
فى أيامه الأخيرة لم يكن يتحدث معه سوى كلمات قليلة جدا ..
يصحو قبل أن يستيقظ ، ثم يسرع خشية أن يصحو الطالب فيجده
أمامه .

ويأتى مبكرا فى المساء لينام قبل أن يأتى ، حتى لا يتقابلا .
باقى أعضاء الجمعية ينعمون بالحياة . يعملون ، ويتقاضون مرتبات
.. أعضاء الجمعية فى القاهرة تنكروا له . قالوا مدافعين عن أنفسهم :
انهم كلما أرسلوه الى عمل ، حدث نحس ، لا يدرون له سببا .
فى الاسكندرية تناقص المبلغ الذى يدفعونه له . أول كل شهر .
والذى كان لا يكفيه لايام قليلة فى الشهر .
ذهب اليهم فى قهوة البيراميد ، مضطرا ، لعلمهم يعطونه مبلغا من
المال ..

كانوا يتحدثون عن مقتل السردار الانجليزى .
قالوا أن الجمعية ، هى التى أمرت بقتله . ولكنه لم يعرف به .
سوى من الجرائد .
فعل الجمعية قد استغنت عنه ، لفشله فى قتل السلطان حسين ،
ورئيس وزرائه .
أعطاه مجاهد مبلغا من المال . وعاد . قبل أن يصل الى بيته ،
أحاطوا به . التفوا حوله أمسكه أحدهم من ياقة قميصه :
- ماذا تريدون .
دفعوه امامهم فى البوكس فورد :
- أيضا ، لان ملابسى متسخة !
دفعه أحدهم فى صدره (الاوامر هذه المرة الا يحسنوا معاملته) .
كان أبو زيد حسنين غاضبا . هذا الولد خيب ظنه . أخرج أمام
رئيسه انجرام باشا :
- أهلا حمدي .
ليس فى الحجرة سواهما ، لم يقل له اجلس ككل مرة . اقترب
منه ، نظر الى منظره فى تفرز :
- سعيد بمنظرك الذى يشبه المتسولين ؟!
- ليس بيدي شيء أفعله .
- قلت لك ، أنا مستعد أن أعينك .
لم يجبه :
- طبعاً ، علمت بحادث قتل السردار الانجليزى ؟
- أجل .
- ما رأيك ؟
- رايى . وما شأنى أنا ؟
- أعلم أن ليس لك شأن بهذا . فانت مراقب . منذ أن خرجت
من السجن ؛
أخرج من سترته شيكا :
- اقرأ هذا . شيك لحامله على البنك الاهلى المصرى .
- ما هذا ؟
- مكافأة لمن يرشد عن معلومات تفيد التحقيق .
أبعده حمدي بيده :
- لا أعرف شيئا .
- ربما ، ولكن يمكنك أن تعرف ، كلهم أصدقاؤك ويشقون بك .

لم يحبه .
- سأمنك في الشرطة بمبلغ عشرين جنيها في الشهر . لو ظلت
في مدرسة الجمعية الخيرية ما كنت ستحصل عليه ولو أصبحت
ناظرها .

- أكون شرطيا ؟
- ليس بهذا المعنى . ستظل مرتديا ملابسك المدنية . ولن يعلم
أحد أنك تعمل معنا .
- آه .

- ما رأيك ؟

- آسف .

صرخ فيه :

- أنت مجنون . تعشق الفقر . تريد أن تموت من الجوع . ماذا
فعلت من أهلك الجمعية . أحمد صابر شريكك في الجريمة . يعمل
الآن ، وله راتبه . وتزوج وأنجب . وأنت كالصعلوك تدور في الحدائق
العامة كالكلاب الضالة . تستجدي الناس إحسانا .
اقرب منه ، أخرج مبلغا من المال . قدمه له :

- خذ . اذهب واشتر ملابس غير هذه التي بليت . واستاجر
حجرة . بدلا من نومك لدى التلميذ .

تردد حمدي . ثم بكى وجرى ، أمسكه الجندى الواقف خارج
الحجرة . ولكن أبا زيد قال له :

- دعه يذهب .

أجل . لقد عينت الجمعية أحمد صابر ، وهو لم يسألوا عنه .
ماذا فعل لهم . لعلمهم أدركوا أنه لا يصلح لأي عمليات أخرى . بعد
أن عرفه البوليس السياسي .

عشرة آلاف جنيه . مبلغ ليس باليسير . يمكنه أن يشتري به
نذادين .. ولكن . ابيع زملاءه .

كان ما زال يبكي .. دخل حجرته ، وكان الطالب يستذكر ،
قال له :

- لقد جاء خالك هنا . ويقول لك ان أباك في انتظارك عنده .

قال له الطالب بعد ان نظر اليه طويلا :

- ماذا بك ، أرى بقايا دموع في عينيك .

- لا شيء .

— البوليس ما زال يضايقتك ؟

— لا شيء ، سأذهب لأرى أبى .

لقد انحاز خاله لزوجته ، ما عاد يتحدث معه كما كان قبلا . لعله أحسن ان حالته ميئوس منها ، ولا أمل فيها .

عندما رآته زوجة خاله ، وقفت ، ثم دخلت الحجرة الأخرى . قال خاله :

— تعال يا حمدى .

صاح أبوه فى دهشة :

— ماذا حدث لك يا ولدى ، أجننت ، انك تشبه مجنون بلدتنا

الذى يضربه الاولاد بالطوب :

شد خاله على يد أبيه ليسكته ، لكن الرجل لم يسكت :

— لقد بعث القرايط الآخر ، لاسدد ديونى .

كنت منتظرا ان تعيننى فى كبوتى . (بكى الرجل ، ولم يستطع ان يكمل) .

أتت زوجة خاله ثانية . نظرت اليه فى غيظ ، ومصصت شفيتها .

قال :

— يا أبى ، أنا لم أقصر فى شيء .

— لم تقصر ، لقد قصرت رقبتي . يا حارى وسط أهل البلدة .

الذين كنت أقهر بك امامهم .

(وبكى الرجل ثانية) .

اقتربت زوجة خاله من الرجل . وأخذت تهدئه ، ثم قالت لحمدى :

— انظر ، ماذا فعلت بالرجل ؟

قال خاله لها :

— وما ذنبه هو ؟!

نظر حمدى اليهم ، ثم أسرع الى السلم .

عاد الى الحجرة ، كان الطالب نائما . . سار فى حذر حتى وصل

لفراشه . لم يشعل المصباح . أراد ان ينام لم يستطع ، أخذ يبكى طويلا .

فى الصباح استيقظ قبل الطالب ، أو لعله لم ينام أبدا .

ذهب الى قسم الشرطة ، قال :

— أريد القائمقام أبو زيد حسنين .

ظل جالسا لدى المأمور حتى جاء أبو زيد لمقابلته .

.. .. .

المبلغ الذى اعطاه له ابوزيد كبيرا ، اشترى ملابس ، وتناول
غداءه فى أحد المطاعم ثم دخل دكان حلاق ، حلق شعر رأسه ولحيته .
وركب عربة حنطور حتى بيت خاله .

نظرت اليه زوجة خاله فى دهشة ، سالها عن والده . قالت وهى
ما زالت تنظر اليه :

— لقد سافر بعد أن مشيت مباشرة ، أقسم الا يبيت فى الاسكندرية
ليلة ثانية .

ترك لها مبلغا من المال ، قائلا :

— المبلغ الذى اقترضته من خالى .

وخرج . ذهب لأقرب مكتب بريد ، أرسل حوالة الى والده بمبلغ
معقول ، واعد اياه أن يرسل مبلغا اكبر فى القريب جدا .

حمل أمتعته من الحجرة . دون أن يكون صاحبها موجودا . ترك
له رسالة يشكره فيها على حسن استضافته . ويعدده بأن يزوره
فى القريب .

استأجر حجرة قريبة من الحجرة الاخرى . التى كان يسكنها
فى الهاميل . قبل أن يدخل السجن .

سار خطوات فى طريقه لقهوة البيراميد ، لمقابلة اعضاء الجمعية ،
ولكنه تذكر شيئا . فعاد ثانية . ارتدى ملابسه القديمة النظيفة .

حتى لا يرتابوا فى أمره ، وسار اليهم .

علم منهم أن مرتكبى الجريمة ، هم عائلة عنایت ، مع محمود
اسماعيل وآخرين ..

لم يشك أحدهم فيه . الكل يعرف مدى وطنيته واخلاصه . لهذا
تحدثوا معه بحرية .

قابل ابو زيد حسنين ، أخبره بما دار فى القهوة .

ابتسم ابو زيد ، بعد أن أخرج الشيك :

— هذا الشيك ، سيكون من نصيبك ، ولكن ، أريد الدليل .

سافر حمدي شعراوي الى القاهرة ، قابل عبد الفتاح وعبد الحميد

عنایت . الاخوين اللذين اشتركا فى قتل السردار . احتضنهما .

— اهلا حمدي .

دار الحديث عن حادث القاء القنبلة على السلطان حسين . الى

أن وصلوا لحادث قتل السردار الانجليزى . قال حمدي :

— أعلم انكما اشتركتما في قتله .
نظر أحدهما الى الآخر ، ولم يردا ، اكمل هو :
— الحل في رأيي . هو قتل رجل في قدر السردار . أو أكثر
قدرا منه .
— لماذا ؟
— حتى نشغل الرأي العام والحكومة . وتعتبر قضية السردار أقل
أهمية .

— فكرة عظيمة حقا ، بشرط أن يكون % يستحق أن يقتل .
— أستطيع أن أقوم بهذه العملية .
أخذوا يدرسون الفكرة من كل نواحيها . من يكون هذا الذي
سيقتل . أنجليزى ، أم مصرى ، وزير ، أم . . الخ .
واتفقوا على أن يزورا حمدي بالاسكندرية . للاتفاق على التنفيذ .
في بيته ، أخرج حمدي لهما القنابل التي أعطاهها له أبوزيد ،
ومسدسا . ثم اقترح الا يسرعوا في التنفيذ . حتى لا تفشل الخطة .
كما حدث معه في حادثة القاء القنبلة على عربة السلطان حسين كامل .

.. ..
اتفق حمدي مع أبى زيد على ان تنشر إحدى المجلات ، بما يفيد
عشور الشرطة على معلومات ، توصلها الى الفاعل الحقيقى لقتل
السردار الانجليزى . وأن الحكومة ستقوم بحملة تفتيش واسعة للقبض
على المنفذين للعملية .

.. ..
نشرت مجلة المقطم خبرا بهذا المعنى .

.. ..
حمل حمدي مجلة المقطم (المنشور بها الخبر) الى الأخوين
عنايت . وصاح بهما :
— لقد انكشف امركما .
— ماذا حدث ؟
— اقرأ .
— اقرأ ما كتب :
— والعمل ؟
— أن تهربا الى ليبيا ، فلا تهتما بهذا . فانا اعرف جماعة يمكنها
تهريبكما .

... ..
حضر حمدي الى الاسكندرية . وذهب الى قهوة البيراميد . حيث
يجلس مجاهد وعلى منصور عادة . حاول مجاهد . أن يدفع له مبلغا
كالمادة . لكنه رفض قائلا :

— لقد وجدت عملا مناسباً . راتبه ليس بالقليل .
ثم قال لهما :

— عبد الحميد وعبد الفتاح عنايت ، في حاجة لتتبرع لهما الى
ليبيا . واعلم انكما تعرفان بعض الرجال في الكوم الاخضر ، يقومون
بهذا .
قال مجاهد :

— أجل . ومستعد لمساعدة الاخوين عنايت .
— سأحضرهما معي . وانت عليك الباقي .

اتفقوا ، أن يتقابل حمدي ومجاهد أمام سينما عباس (امام مسجد
البوصري) الساعة الثانية صباحا . حتى لا يكشف أمرهما أحد .
ثم يبيت الاخوان عنايت لدى مجاهد ويبقيان في بيته لمدة أيام . وفي
بيت على منصور عدة أيام أخرى . حتى يعدان لهما ملابس بدوية
للتنكر . وباقي الاستعدادات للسفر .
ذلك ما أعده حمدي في نفسه . ليوقع بمجاهد وعلى منصور مع
الاخوين عنايت .

وترك القهوة لينبغ ما اتفق عليه معهما لأبي زيد .

... ..
ظل مجاهد واقفا امام سينما عباس . حتى الثانية صباحا دون
أن يأتي أحد .

(بعد سنوات ، قابل مجاهد عبد الراضي ، حمدي شعراوي .
فقال له حمدي ما معناه ، أنه أراد فعلا أن يوقع به وعلى منصور .
ولكنه تذكر مساعدتهما له . . فتراجع في آخر لحظة . ولم يحك
لأبي زيد حنين ما اتفق معهما عليه (لهذا لم يأت حسب الميعاد ،
امام سينما عباس) .

حمل عبده رشوان ، وإبراهيم زيدان كل الملفات التى كانت فى مكتب دكتور صالح مجاهد ، ووضعها فوق مكتب أبو الوفا ، كما طلب .

نظر الرجل الى الاوراق ، داخل الملفات . والى الاصطلاحات التى تشبه التماثل ، ووضع يده فوق رأسه . ثم أغلق الملفات ، دون أن يفهم شيئا .

الكل فى الشركة يأتى دون أن يعمل . -

رئيس المؤسسة يعلم أن المشروع متوقف . وأنه من الصعب أن يعمل ثانية دون صالح . ولكنه لا يريد أن يقول شيئا . حتى لا يفضب عليه علوان باشا . أنه سيحال الى المعاش بعد عامين . فماذا يضر لو بقى المشروع متوقفا لمدة عامين . حتى يخرج هو على المعاش .. ومن سيأتى من بعده . يفعل ما يشاء . ربما - حينذاك - لن يكون هناك علوان باشا . ولا أبو الوفا .

قال أبو الوفا لعبده رشوان وإبراهيم زيدان :

- سأطلع على الملفات فى الغد .

يعلمان أن الغد لن يأتى أبدا . وأنه لن يفهم شيئا . ولن يتحرك حتى فى طلب خير فنى يفهم فى هذا العمل .

.....

أغلق أبو الوفا درج مكتبه . وأسرع الى سيارته .

نشرت مجلة الاصلاح مقال صفية .

لم يهتم به أحد . سوى بعض المثقفين ، حتى الجهات المسئولة من تتبع هذه المقالات ، لم تحس به .

ولكن أحد المثقفين ، اتصل بمسئول ، ونبهه لخطورة المقال . وعندما قرأ ذلك المسئول أحس بأنه - هو ومعاونوه - مقصرون فى عملهم . لانهم لم يكتشفوا أمر هذا المقال ، دون أن ينبههم ذلك المثقف المهتم .

لا بد من وضع أسس جديدة لمعاونيه حتى لا تفوتهم هذه المقالات المحرصة .

لم يتمكنوا من مصادرة أعداد المجلة . فقد بيع معظمها . لان ذلك

المثقف المهتم . لم ينبههم الى ذلك . الا بعد أيام من صدور المجلة .
صادروا الإعداد القليلة المراجعة .

واتصلوا برئيس تحرير مجلة العهد السعيد . طالبين منه اقالة
هذه الصحيفة الجسريئة حتى دون ان يستدعوها ، ليسألوها
عما كتبت .

قال مسعد ، رئيس تحرير مجلة العهد السعيد :
- لقد جلدتكم يا عزيزتى . أنت صحيفة نشيطة . ولكن ما باليد
مجلة .

قالت ساخرة :

- لا تهتم ، كنت متوقعة هذا . ما هى آخر اخبار البنك الذى
ستشارك فيه زملاءك الفرنسيين ؟ .

- كل شيء جاهز . الامر متوقف على المكان .

عندما قابلت صفية صالح . قالت ضاحكة :

- أصبحت مثلك عاطلة .

- أنت أيضا ؟ !

- اقالونى ، لقالى بمجلة الاصلاح .

ضحك صالح طويلا . شدها اليه وقبلها :

- حتى موضوع زواجنا يتعقد . كنت سأعتمد على راتبك من

المجلة . لحين أجد حلا لمشكلتى كان يسخر . وكانت هى شاردة . هل

نستطيع أن تعيش من عائد المقالات التى تنشرها فى المجلات والجرائد

غير الحكومية .

- ماذا ستفعل فى موضوع عملك ؟

- سأتصل برئيس المؤسسة ثانية .

- حاول ، رغم انى أرى أن موضوع الكلية مضمون .

- لا . لن أترك المشروع أبدا .

.....

أحسنت ملك براحة بعد أن اتضح لها أن أبا الوفا لا يستحق

منها أى اهتمام . وما كانت تفعله معه فى الماضى ، من رعاية واهتمام ،

كان بلها منها ، لا أكثر .

تستذكر دروسها الآن ، فوق مكتب - ابن زوجها - يراها

أبو الوفا . ينظر اليها من بعيد . يود أن يتحدث معها ، ولكنه لا يقدر

.. تذكره باسماعيل .

يدخل حجرته « زوانته » . يبكى أحيانا . فالبكاء هو الشيء

الوحيد الذى يستطيعه الآن .
القراءة ما عاد يستطيعها ، وكلما أمسك جريدة أو كتابا ، شرد .
انه يهلم مشروعا كاد ينتج . يعلم هو هذا . لكن ماذا يفعل .
ايتركه ، والى اى مكان يذهب بعده ؟
شجاعة العجوز يهمس فى اذن ملك ، تضحك ، تشده من اذنه .
قال رجل يتضامن معها ضده . لا يحدثه - هو الاخر - الا اذا
بداه بحديثه .

.. .. .

سمعت صفة صوت دق الجرس . وهى فى حجرتها . فى
الدور العلوى من الفيلا .
كانت حينذاك مع صالح .
قال صالح :

.. من سياتى الان ؟

اذ كانت الساعة تقترب من الثانية عشرة مساء .
اسرعت صفة الى الباب ، فوجئت بوجود مسعد (رئيس تحرير
مجلة العهد السعيد) .
.. اهلا . استاذ مسعد . تفضل .

قال مبتسما كعادته :

.. زيارة مفاجئة . ودون سابق موعد . وفى وقت متأخر . اعلم
كل هذا . ولكن ماذا افعل ...

.. لا عليك . اهلا بك فى اى وقت تشاء .

سارا معها . واجههما صالح ببيجامته . فوق أعلى الدرج . نظر
مسعد الى صفة فى دهشة ، دون أن يقول شيئا .
قالت هى :

.. استاذ صالح .

لم يهبط صالح . ولم يحييه . أسرع الى حجرة النوم ثانية . وشد
الغطاء حول جسده .

.. فى الحقيقة ، جئت لامر هام . كنت مجتمعا مع اصدقائى
الفرنسيين ، وفجأة تذكرت فيلتك الجميلة .

.. ماذا ؟

.. أجل . انها اصلح مكان للبنك الذى بنوى اقامته .

.. استاذ مسعد ، ماذا تقول ؟

.. أقول اننى أستطيع أن أدفع لك مبلغا لا يخطر لك على بال .

- لن أبيعها ، مفهوم ؟!
- من قال اننى أريد شراءها . كل ما أريده هو أن أستأجرها .
- وقفت :
- أستاذ مسعد ، اننى لا أطيق حديثك .
- اجلسى يا صفية . ولا تسرعى . أنا اختلف معك فى اسلوب حياتك . ولكننى معجب بك . لقد اقالوك من المجلة . مرتبك لن تحصلى عليه .
- ليس هذا من شأنك .
- المائد الذى سيأتيك من مقالاتك فى المجلات الاخرى لن يكفى ..
- أرجوك .
- سأدفع لك اضعاف ما كنت تتقاضينه فى المجلة . ويمكنك استئجار شقة صغيرة مناسبة . الفيلا كبيرة عليك جداً .
- لن اتحدث فى هذا الموضوع ثانية .
- على اى حال سأجعلك تفكرين .
- سار الى الباب ، ثم نظر ناحية الدرج . وقال :
- صالح هذا ، زوج المستقبل .
- ليس من شأنك أيضاً .
- لا تغضبى . سعدت مساء .
-
- دكتور صالح .. !
- شدة رئيس المؤسسة اليه ، قبله :
- كيف حالك يا ابنى .
- لست سعيداً .
- وأنا ايضاً .
- لماذا وأنت على نقلى ؟
- انتقلت خيراً من ان أحال الى المعاش قبل اوانى .
- ضحك صالح لصراحته :
- اجلس يا صالح يا ابنى . هناك امورا كثيرة لا تستطيع ادراكها الآن . عندما تصل لمثل عمري ، ستفهم كل شيء .
- المشروع يموت الآن .

- اننى حزين عليه مثلك . كان احد احلامي . كنت اود ان يتحقق قبل ان احال للمعاش .
- افعل شيئا .
- منط شفتيه وقال :
- الله يفعل ما يريد .
- ليس هناك حل .
- ربما ، ولكن من المؤكد انه ليس هندي .

زار حمدي خاله ، كان يرتدى بدلة جديدة ، ومحملا بالهدايا له
ولأولاده ..

أخرج مبلغا من المال ، وقدمه لخاله . قال الرجل :

— لقد دفعت لى أكثر مما اقترضته منى .

— هذا المبلغ هدية منى للأولاد .

— ربنا عوض صبرك خيرا ، بعملك الجديد .

— أجل .

، أرسل مبلغا من المال لأبيه فى « إنا الوقف » ، قال له :

« ربنا سهل . وعملنا فى وظيفة كبيرة » .

ولكنه لم يستطع أن يسافر إليه . خشى أن ينظر والده فى عينيه .
فيكتشف سره .

قام مستأذنا من خاله . لانه سيسافر فى الغد . فى مهمة تابعة
لعمله الجديد .

.....

كان الاخوان عنایت مستعدين للسفر . قال حمدي :

— لا تتركنا شيئا هنا . حتى لا يتخذة البوليس دليلا عليكما .

فالحكومة لا شك ستفتش شقتكما .

قال عبد الحميد :

— أجل . سناخذ المسدس الذى اطلقنا به النار على السردار معنا .

سافروا فى القطار الى الاسكندرية . قال عبد الفتاح عنایت :

— ولكن الرحلة الى ليبيا تحتاج لمصاريف كثيرة . ونحن لسنا

بمستعدين لهذا .

صاح حمدي معاتبا :

— تقولان هذا وأنا معكما . قتل السردار الانجليزى فخر لنا

جميعا . لى مستحقات فى دائرة طوسون . ساذهب الى هناك .

لأخذها . ونسافر الى طرابلس .

نزلا الاسكندرية . وقف الاخوان عنایت فى الخارج . ودخل هو

دائرة طوسون . كان ضابط من مساعدى أبوزيد فى انتظاره .

اتفقا على كل شيء . ثم خرج حمدي :
— كل شيء تم بنجاح . أنتما ولاد حلال . اعطوني كل مستحقاتي .
اشترؤا ملابس بدوية ، ارتدوها في أحد الفنادق . وأصر حمدي
أن يتركوا الملابس في الفندق . خشية أن يكتشف البوليس أمرهم ،
إذا ما وجد ملابس غير بدوية معهم .
ثم خرجوا من الفندق بملابس البدو . استقلوا القطار الداهب
الى مطروح .
وفي إحدى المحطات صعدت الى القطار قوة من الشرطة . فتشوا
الركاب واحدا واحدا .
ارتعش الاخوان عنایت ، وكذلك حمدي . أحس بأنه يود أن يقفز
من القطار ويجري . ولكن لم يستطع الا أن يكمل . قال لرفيقه :
— لا تخشيا شيئا . لعلها حملة عادية للقبض على المهرين .
واقتربت الشرطة من الاخوين عنایت . فتشتهما . وقبضت
عليهما .
وقف حمدي بجوارهما كأنه شريكا لهما في قتل السردار
الانجليزى .

.. .. .

استيقظ ابو الوفا من نومه فزعا . لم يجد ملك بجواره . أسرع
الى الخارج .
لقد تحققت النبوءة أخيرا . ان تهزب ملك مع شاب صغير .
اجل . ولد من الاولاد الذين يزاملونها فى الكلية .
سار ناحية دورة المياه ، وجد حجرة شحاتة مفتوحة . أسرع
اليها . هذه المرة ليس شابا صغيرا . إنما عجوز كشحاتة .
دخل الحجرة ، وجد شحاتة نائما وحده . ضربه بقدمه :
— قم يا حمار .
صاح الرجل فزعا :
— أمرك يا سعادة البك .
— لماذا لم تفلق الباب قبل أن تنام ؟!
— آسف يا بك . سافلقه .
تركه وخرج . وجد ملك أمامه تمسك كتابا :
— أين كنت ؟
— استذكر فى حجرة اسماعيل ، الامتحانات تقترب

- لماذا فعلت بشحانة هذا ؟
 - ما شأنك أنت ؟
 - رجل عجوز اكبر منك . . تغار على منه ؟
 صرخ فيها :
 - انا لا اغار عليك ، لا اهتم بك .
 - لقد مللتك ، ذهبت الى الكلية لاهرب منك . ولكن الظاهر
 انك ستقتلني بأفعالك الشاذة .
 - انا شاذ ؟!
 - أجل .
 هجم عليها ، صنعها بجنون . يده ما زالت قوية رغم ارتعاشها
 الدائم . .
 رماها فوق البلاط . اسرع شحانة اليه .
 - بريك اتركها . انا الذى استحق الضرب لآهى .
 قامت ملك . الضربة ألمتها . لكنها ما زالت تعانده :
 - سأترك لك البيت ، هذه المرة لن أعود أبدا .
 - فى ستين . . .
 بكى شحانة بجانبها ، وتركهما هو ودخل حجرة النوم واغلق الباب
 خلفه . . .

.
 قالت ملك لاختها محمود :
 - حاولت أن أتحملة ، حتى أحصل على الليسانس ، كى لا أحملك
 أعبائى . لكننى لم أستطع .
 - بيتى مفتوح لك الى الابد . انت التى اصررت ان تذهبى اليه .
 - لن أعود اليه أبدا .

.
 حمل شحانة أشياءه وعاد الى بلدته . وأبو الوفا وحده فى
 الشقة ، تراقص أمام عينيه .
 وجوه وصور . صورة اسماعيل الحزينة . وصورة أخيه أبو زيد
 ببذلته العسكرية . وصورة ملك التى تبسم - الان ساخرة منه .

.
 قالت صفية لصالح :
 - ذلك الرجل ما زال يطاردنى ، تصور ، أرسل لى كل معارفى
 ليؤثروا على لاؤجر الفيللا .

ضحك صالح قائلا :

- أخشى أن تضعف مقاومتك وتؤجربها له .
- لست أنا التي تفعل هذا . قل لى ماذا فعلت فى مشكلتك ؟
- لا شيء .
- والعمل ؟
- سابقي معك فى الفيللا . الى ان اجد حلا .

((تمت))

الاسكندرية فى ٢٧/١٠/١٩٨٥

روايات الهلال تقدم

عريس بغسل

تأليف

الطاهر وطار

تصدر: ١٥ مارس ١٩٨٨

الكويت: السيد 'عبدالعال بسيوني زغلول

الصفحة - ص . ب رقم ٢١٨٢٢

13079 - تليفون - ٤٧٤١١٦٤

(اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية)

اشترى
في
روايات
الهلال

هذه الرواية

تتدفق الحياة بالعطاء ، وتنجب أبناء جددا من الموهبين
مؤكدة أن الام الخصبة لا يمكن ان تنضب أبدا ..
والهماميل .. هي احدى العلامات المؤكدة على خصوبة
الحياة .. بأجيالها الجديدة التي تستمر في العطاء الجاد بلا
توقف . ومؤلف هذه القصة هو أحد الذين اكدوا على
استمرار هذه الخصوبة . وقد قال عنه أحد النقاد الكبار
"التعبير عند مصطفى نصر يتم على جمل قصيرة بها قدر
كبير جدا من الصفاء ووضوح المعنى ، مما يعكس نفس
كاتب صافية قادرة على الرؤية النافذة" ..
كما قال ناقد آخر "إن مصطفى نصر أدرك ديناميكية
التغيير الاجتماعي بذكاء وحساسية وعبر عنها بوعي
واستيعاب .
"الهماميل" .. رواية جديدة وإضافة بارزة في شكل
الرواية العربية الحديثة .